

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ، فَلَا هَادِي لَهُ.

وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلَهُ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .١

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْرًا عَظِيمًا﴾ .٣

أما بعد فإني كنت طالعت وصية أبي بكر رضي الله عنه في بعض كتب الأدب، في بداية الطلب، فإذا بها روضة غناء، وجنة فيحاء، قليلة المبني غزيرة المعنى، وقد ظلت مدة من الدهر أروم كشف النقابها، وأميط اللثام عن جمالها، حتى يسر الله الحديث عنها في أربع خطب، ثم عزمت على شرحها، ولما كانت قد جمعت من أسباب الفوز والفلاح جملًا من الآداب، واشتملت على طائفة من الحكم مشرعة الأبواب، ودررًا من جوامع الكلام تشدق فيما دونها الرحال، وتقطع لأجل تحصيلها الفيافي والقفار، وموردًا عذبًا يروي الغليل، وظلالًا وارفًا يتفيئًا ظلاله كل مكدود كليل، استعنت الله وهو خير مستعان، وكشفت النقاب عن كوامن حسنها الفتان، فإذا هي من الحسن بدر التمام، وإذا بها شمس في سماء البيان، ولا عجب فإنها من مشكاة النبوة خرجت، وعلى درب الفصاحة درجت، فصاحبها ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأقرب الناس لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا عجب أن تجري

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية / ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية / ٧٠ ، ٧١

الحكمة على لسان، وقد أشربه بطول صحبته جنانه، ولما كانت وصيته من الأهمية بمكان، ذكرت لكل قول ما يشهد له من آيات القرآن والسنة النبوية، وآثار السلف عليهم رضوان الله، وحرصت أن يكون التعلق على كلماتها وسطًا ليس بالطول الملل، ولا الإيجاز المخل، يلقي الضوء على ما كان عليه سلفنا من جميل الصفات، وكم الشمائل والأخلاق، والله الكريم أسأل ينفع بها وأن يجعلها ذحراً ليوم المعاد.

بدأتها على سبيل الترقى بترجمة لزبيد اليامي الراوي لها، ثم ترجمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ترجمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم شرح الوصية وبيان ما فيها من الحكم والفوائد.

والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآلته وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو ريه / سعيد بن مصطفى ديا

الدوحة في / السابع من ذي القعدة: ١٤٤٦ هـ

الموافق: الخامس من مايو: ٢٠٢٥ م

وصية أبي بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهمَا

عن زبید الیامی أَنَّ أَبا بَكْرٍ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبِلُهُ بِاللَّيلِ، وَلَلَّهِ فِي اللَّيلِ حَقًّا لَا يَقْبِلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّهَا لَا تُقْبِلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، إِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّباعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقِّ، وَثَقَلَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا حَفِظَتْ مَوَازِينُ مَنْ حَفِظَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّباعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلِ، وَحَفَّتْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَلَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخْفَ، وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَجَاءُوهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَفْضَلُ مِنْ هُؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ، وَآيَةَ الْعَدَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَلَا يَتَمَمُ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ، وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلِكَةِ، فَإِنْ حَفِظْتَ قَوْلِي فَلَا يَكُونَنَّ عَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا يَنْضِعَتْ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ عَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تُعِزِّزَهُ». ^١

وفي رواية عنه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاءُ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَأْخِلْفُهُ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا: إِنَّ اللَّهَ حَقًا فِي اللَّيلِ لَا يَقْبِلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّ اللَّهَ حَقًا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبِلُهُ فِي اللَّيلِ، وَإِنَّهَا لَا يُقْبِلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا حَفِظَتْ مَوَازِينُ مَنْ حَفِظَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّباعِهِمُ الْبَاطِلِ فِي الدُّنْيَا وَحَفَّتْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقًا، وَإِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّباعِهِمُ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا وَثَقَلَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعَ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَجَاءُوهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هُؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئَاتِهِ مَا عَمِلُوا وَرَدَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا حَيْرٌ مِنْ هُؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَدَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَلَا يَتَمَمُ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ، وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلِكَةِ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي

١ - رواه ابن المبارك في الزهد - باب ذكر رحمة الله تبارك وتعالى وجاء وعلا، حديث رقم: ٩١٤

هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ
غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ».^١

١ - رواه ابن أبي شيبة- كتاب الزهد، كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٤٤٣٣

ترجمة زبيد اليامي

اسمها:

هو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن جحذب بن دهيل بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دعول بن جشم بن يام من همدان.

كنيتها:

أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله.

ذكره ابن المديني فيمن لم يلق أحداً من الصحابة.

وقال الذهبي: حدث عن عبد الرحمن بن أبي ليلي وأبي وائل وإبراهيم بن يزيد النخعي وإبراهيم بن سويد النخعي وطائفة وما علمت له شيئاً عن الصحابة وقد رأهم وعداده في صغار التابعين.

ثناء العلماء عليه:

قال شعبة ما رأيت رجلاً خيراً من زيد.

قال نعيم بن ميسرة قال سعيد بن جبير لو خيرت من ألقى الله تعالى في مسلاخه لاخترت زيد اليامي.

قال يحيى القطان: زيد ثبت وقال أبو حاتم وغيره ثقة وروى ليث عن مجاهد قال أعجب أهل الكوفة إلى أربعة ذكر منهم زيداً.

عبادته:

وقال ابن شيرمة كان زيد يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً عليه، وجزءاً على ابنه، وجزءاً على ابنته الآخر عبد الرحمن فكان هو يصلي ثم يقول لأحدهما: قم فإن تكاسل صلى جزءه، ثم يقول للآخر: قم فإن تكاسل أيضاً صلى جزءه فيصلي الليل كله.

ورعه وزهده:

كان زيد اليامي على قدر كبير من الورع، وكان من الزهاد.

قال سفيان بن عيينة: قال زيد: ألف بعرة أحب إلى من ألف دينار.

وروى عبد الله بن إدريس عن عقبة بن إسحاق قال: كان منصور بن المعتمر يأتي زيد بن الحارت فكان يذكر له أهل البيت، ويعرض عينيه يريده على الخروج أيام زيد بن علي، فقال زيد: ما أنا بخارج إلا مع نبي وما أنا بواجده.

وقال إسماعيل بن حماد: كنت إذا رأيت زيد بن الحارت مقبلًا من السوق رجف قلبي.

وروى شجاع بن الوليد عن عمران بن عمرو قال: كان عمي زيد حاجاً فاحتاج إلى الوضوء فقام ففتحي ثم قضى حاجته، ثم أقبل فإذا هو بماء في موضع لم يكن معهم ماء، فتوضا ثم جاءهم ليعلّمهم فأتوا فلم يجدوا شيئاً.

قال يونس بن محمد المؤدب: أخبرني زياد قال كان زيد مؤذن مسجده فكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا أهبا لكم جواراً فكانوا يصلون ثم يحيطون به. فقلت له في ذلك فقال: وما علىي أن أشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة.

وبلغنا عن زيد أنه كان إذا كانت ليلة مطيرة طاف على عجائز الحي ويقول لكم في السوق حاجة؟

قال الحسن بن حي: قال زيد: سمعت كلمة فنفعني الله بها ثلاثة سنين.

قال حصين بن عبد الرحمن: أعطى أمير زيداً دراهم فلم يقبلها.

وفاته:

قال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وعشرين ومئة.

ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اسمها:

هو عمر بن الخطاب بن نفیل بن عبد العزیز بن ریاح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدی بن کعب، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

كنيتها:

يكنی أبا حفص.

مولده:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولدت قبل الفجر الأعظم الآخر بأربع سنين.

إسلامها:

أسلم عمر رضي الله عنه في ذي الحجّة السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة. قال: وكان عبد الله بن عمر يقول: أسلم عمر وأنا ابن ست سنين.^۱

عن ابن عمر رضي الله عنهم، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ إِلَيْسِلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْنِيْكَ: بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ». «وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».^۲

عن أنس بن مالك قال: خرج عمر متنقلاً السيف فلقه رجلٌ من بنى زهرة قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تؤمن في بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه، قال: أفلأ كذلك على العجب يا عمر؟ إن حتنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه. قال فمشى عمر ذاماً حتى أتاهمما وعندهما

۱ - الطبقات الكبير (۳/۲۵۰)

۲ - رواه أحمد - رقم: ۵۶۹۶، والترمذى - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ۴۰۱۳، بسنده حسن

رجلٌ من المهاجرين يقال له حَبَّابٌ. قال فلما سمعَ حَبَّابٌ حِسْنَ عَمْرٍ توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمَةُ التي سمعْتُها عندكم؟ قال وكأنوا يقرءون: ﴿ طه ﴾ فقالا: ما عدا حديثنا بيننا، قال: فلعلكم قد صَبَوْتُمَا؟ قال فقال له حَتَّئْنَهُ: أَرَيْتَ يَا عَمْرَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ؟ قال فوثبَ عَمْرٌ عَلَى حَتَّئْنَهُ فَوَطَّهُ شَدِيدًا فجاءت أخْتُهُ فَدَفَعَتُهُ عَنْ زَوْجِهَا فَنَفَحَهَا بِيَدِهِ نَفْحَةً فَدَمَّيَ وَجْهَهَا فَقَالَتْ وَهِيَ غَضَبَيْ: يَا عَمْرَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فلما يَئِسَ عَمْرٌ قَالَ: أَعْطُونِي هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي عَنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ، قال: وَكَانَ عَمْرٌ يَقْرَأُ الْكِتَابَ، فَقَالَتْ أخْتُهُ: إِنَّكَ رِجْسٌ وَلَا يَمْسِهِ إِلَّا الْمَطَهُرُونَ فَقُمْ فَاغْتَسِلْ أَوْ تَوَضَّأْ. قَالَ فَقَامَ عَمْرٌ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخْذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ ﴿ طه ﴾ حَتَّى انتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه: ١ - ١٤]، قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌ: ذُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ. فلما سمعَ حَبَّابٌ قَوْلَ عَمْرٍ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا عَمْرٌ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دُعَوَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكَ لِيَلَةُ الْخَمِيسِ: اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعَمَرٍ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعَمَرِو بْنِ هَشَامٍ، قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا. فَانْطَلَقَ عَمْرٌ حَتَّى أَتَى الدَّارَ، قَالَ: وَعَلَى بَابِ الدَّارِ حَمْزَةُ وَطَلْحَةُ وَسَلَّمَ، وَأَنَّاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةَ وَجَلَّ الْقَوْمَ مِنْ عَمْرٍ قَالَ حَمْزَةُ: نَعَمْ فَهَذَا عَمْرٌ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِعَمْرٍ خَيْرًا يُسْلِمُ وَيَتَّبِعُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ يُرِيدُ غَيْرَ ذَلِكَ يُكَنْ قَتْلَهُ عَلَيْنَا هَيْنَانَا. قَالَ وَالنَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَاهِنُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى عَمْرَ فَأَخْذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبَهِ وَحِمَائِلِ السِّيفِ فَقَالَ: أَمَا أَنْتَ مِنْتَهِيَا يَا عَمْرَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ؟ اللَّهُمَّ هَذَا عَمْرٌ بْنُ الْخَطَّابِ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الدِّينَ بِعَمْرٍ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ فَقَالَ عَمْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَأَسْلَمَ وَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولُ اللَّهِ.

فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزّةً مُنذَّ أسلمَ عمراً». ^١

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمرو في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». ^٢

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبني، فشربت منه، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم». ^٣

وعن ابن أبي ملائكة قال: سمعت ابن عباس يقول: «وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكلفه الناس يدعون ويثنون، ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم. قال: فلم يرعني إلا برجلي قد أحذ بمنكري من ورأي، فانتقت إليه فإذا هو علي ، فترحم على عمر وقال: ما حلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله إيميل عمله منه، وآيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وذاك أني كنت أكثر أسماع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: حيث أنا وأبو بكر وعمرو، ودخلت أنا وأبو بكر وعمرو، وحرجت أنا وأبو بكر وعمرو، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما». ^٤

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوبي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٦٧٥، والترمذمي - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد الزهرى رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧٤٧، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوبي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩١

٤ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوبي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٥، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٨٩

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرِضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثِّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذِلِّكَ، وَمَرَّ عُمُرُ بْنِ الْحَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْزُرُ، قَالُوا: مَاذَا أَوْلَتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سِمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيلٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخْدَهَا إِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ إِبْنَ دَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنَ وَفِي نَرْعِهِ - وَاللَّهُ يَعْفُرُ لَهُ - ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخْدَهَا إِبْنُ الْحَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعَ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ، حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَرِنِ».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ، فَأَرْدَثُتُ أَنْ أَدْخُلَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَبَكَى عُمُرٌ وَقَالَ: أَبِي رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكَ يُعَازِّ؟».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأَ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ فَوَلَّتُ مُدْبِرًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمُرٌ وَتَحْنُنَ حَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ عُمُرٌ: بِأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَعْزَ؟».

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اسْتَأْذَنَ عُمُرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُنَّهُ وَيَسْتَكْتُرُنَّهُ عَالِيَّةً أَصْوَاهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمُرٌ فُمْنَ يَبْتَدِرُنَ الْحِجَابَ،

١ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم: ٢٣٩٠

٢ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ألي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حدث رقم: ٣٦٨٢، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم:

٢٣٩٢

٣ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم: ٢٣٩٤

٤ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ألي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حدث رقم: ٣٦٧٩، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم:

٢٣٩٥

فَأَذِنْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سِمِعْنَ صَوْتَكَ ابْنَدَرَنَ الْحِجَابَ! قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهْبِنَ! ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَبِي عَدُوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَكَبَبَنِي وَلَا تَهْبِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجَّا إِلَّا سَلَكَ فَجَّا عَيْرَ فَحِلَّكَ». ^١

وعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ». ^٢

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». ^٣

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الدِّئْبَ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاءَ، فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ الدِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». ^٤

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ مُلْهَمُونَ.

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حدیث رقم: ٣٦٨٣، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدیث رقم:

٢٣٩٦

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدیث رقم: ٢٣٩٨

٣ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حدیث

رقم: ٣٦٨٩

٤ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حدیث

رقم: ٣٦٨٩

وعنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَحْدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: اثْبُتْ أَحْدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صَدِيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ». ^١

وعنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ؛ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارِي بَدْرِ». ^٢

وعنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا تُوْفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ سَلَولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيهِ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَاعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِشُوبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ هَمَّ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا حَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ - وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ! فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْمِ عَلَى قَبِرِهِ﴾». ^٣

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشَدُ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصَدَّقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَوْهُمْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيَّدَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَالْجَرَاحَ». ^٤

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص الفرشى العذوي رضي الله عنه، حدیث رقم: ٣٦٨٦

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدیث رقم: ٢٣٩٩

٣ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدیث رقم: ٢٤٠٠

٤ - رواه أحمد - حدیث رقم: ١٢٩٠٤، والترمذی - أبواب المناقب عن رسول الله صلی الله علیه وسلم، باب مناقب معاذ بن جبل، وزید بن ثابت، وأبی عبیدة بن الجراح رضي الله عنهم، حدیث رقم: ٣٧٩٠، وابن ماجه - المقدمة، فضائل زید بن ثابت، حدیث رقم: ١٥٤، بسنده صحيح

عُمُرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُضَربُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعَدْلِ:

وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحوها صبيان ييكون وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال يا أمّة الله أيسى بكاء هؤلاء الصبيان فقالت بكاؤهم من الجوع قال فما هذه القدر التي على النار فقالت قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا أو همهم أن فيها شيئاً من دقيق وسمن فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئاً من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودارهم حتى ملأ الغرارة ثم قال يا أسلم احمل علي فقلت يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك فقال لي لا ألم لك يا أسلم أنا أحمله لأنني أنا المسؤول عنهم في الآخرة قال فحمله على عنقه حتى أتي به منزل المرأة قال وأخذ القدر فجعل فيها شيئاً من دقيق وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفح تحت القدر قال أسلم وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم ثم جعل يعرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا ثم خرج وربض بجذائهم كأنه سبع وخفت منه أن أكمله فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ثم قال يا أسلم أتدرى لم ربضت بجذائهم قلت لا يا أمير المؤمنين قال رأيتمهم ي يكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسي.^١

وفاته رضي الله عنه:

عَنْ عَمِّرٍو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عَمَرُ: لَعِنْ سَلَمَيْنِ اللَّهُ، لَأَدْعَنَ أَرَاملَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَتَجْنَّبُ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةً حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لِقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاءَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوْوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِمْ حَلَّا تَقَدَّمَ فَكَبَرَ، وَرُمِّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أَوْ النَّحْلَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الْكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرْفَيْنِ، لَا يَمْرُ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةً، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْسِيَا، فَلَمَّا

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/٦٧)

ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَا حُوْذٌ نَحْرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ، عَيْرَ أَكْثُرُهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى إِلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً حَقِيقَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَاءَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: غُلَامُ الْمُغَيْرَةَ، قَالَ: الصَّنْعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمْرَتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَيِّ بِيَدِ رَجُلٍ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ.^١

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧٠٠

ترجمة أبا بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو أبو بكر الصديق، رضي الله عنه واسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسم عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، وأمه أم الخير واستُمنها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، وكان لأبي بكر من الولد عبد الله وأسماء ذات النطاقين وأمهما قتيلة بنت عبد العزى، وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت عامر، ومحمد بن أبي بكر وأمه أسماء بنت عميس، وأم كلثوم بنت أبي بكر وأمهما حبيبة بنت خارجة بن زيد. وكان أبو بكر يلقب بعتيق، وقيل: بل كان اسمه عتيق، ولقبه الذي اشتهر به الصديق.

مولده:

ولد أبو بكر بعد الفيل بثلاث سنين.

إسلامه:

أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال؛ فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما عقلت أبوي إلا وما يدينان الدين وما مر علينا يوم قط إلا رسول الله يأتيانا فيه بكرة وعشية.

وقال رجل لبلال: من سبق؟ قال: محمد، قال: من صلى؟ قال: أبو بكر، قال: قال الرجل إنما أعني في الخيل، قال بلال: وإنما أعني في الخير.

أبو بكر رضي الله عنه يبذل ماله كله في سبيل الله تعالى:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبَكِّي هَذَا الشَّيْخُ؟ إِنْ يَكُنَّ اللَّهُ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ

عَلَيَّ فِي صُحبَتِهِ وَمَا لِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَخَذِّلاً حَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُحْوَةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابٌ أَبِي بَكْرٍ». ١

عن زيد بن أسلم قال: كان أبو بكر معروفاً بالتجارة، لقد بعث النبي، صلى الله عليه وسلم، وعنه أربعون ألف درهم فكان يعتقد منها ويقول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَيَّقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلُهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا". ٢

رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَاءَ يَوْمَ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَمْ يَرْعَنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَجُبِرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَّثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاهِي، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَّرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَحُدِّدْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: قَدْ أَحَدَهُمَا بِالْمَمْنَنِ». ٣

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، حدث رقم: ٣٦٥٤

٢ - رواه الدارمي - من كتاب الزكاة، باب الرجح يتصدق بجميع ما عنده، حدث رقم: ١٧٠١، وأبو داود - كتاب الزكاة، باب في المخصوص في ذلك، حدث رقم: ١٦٧٨، والترمذى - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدث رقم: ٣٦٧٥، والحاكم - أول كتاب الزكاة، حدث رقم: ١٥٢٢، بسنده حسن

٣ - رواه البخاري - كتاب الأنبياء، باب: إذا اشتريت متاعاً أو دابةً فوضعته عند البائع أو مات قبل أن يقبض، حدث رقم: ٢١٣٨

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرِ الصِّدِّيقَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمِيَّهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمِيَّهِ! فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظُنْكَ بِأَنْسِنْ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».^١

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبَكِّي هَذَا الشَّيْخُ؟ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا حَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي، لَا تَخْدُثْ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُحُودُ الْإِسْلَامَ وَمَوَدُّهُ، لَا يُبَقِّيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدًّا، إِلَّا بَابٌ أَبِي بَكْرٍ».^٢

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَ رِجَالًا».^٣

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَفْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ». فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِ وَبَيْنِ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى

١ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم:

٢٣٨١

٢ - تقدم تخرجه

٣ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب، حديث رقم: ٣٦٦٢، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم،

باب: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٣٨٤

عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَعْفُرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ». ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَئِمَّةُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ عَلَى رَكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتُ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ.

وَوَاسَانِي بِنَفْسِي وَمَالِي، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي». مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.^١

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْحَمُ النَّاسِ بِالْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمُرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاةً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيِّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيْدَةَ بْنِ الْجَرَاحِ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسْوُقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَا إِنَّا حُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ فَقَالَ فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهَا أَنَّا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي عَنْمِهِ إِذْ عَدَا الدِّئْبُ فَدَهَبَ مِنْهَا بِشَاءٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَانَهُ اسْتَنْقَدَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الدِّئْبُ هَذَا اسْتَنْقَدْتَكَ مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِي لَهَا غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبُ يَتَكَلَّمُ قَالَ فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهَا أَنَّا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب، حديث رقم: ٣٦٦١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٩٠٤، والترمذى - أبواب المذاهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مذاهب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٧٩٠، وابن ماجه - المقدمة، فضائل زيد بن ثابت، حديث رقم: ١٥٤، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب، حديث رقم: ٣٤٧١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حديث رقم: ٢٣٨٨

استشارةُ أبِي بَكْرٍ فِي اسْتِخْلَافِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال ابن سعد: لَمَّا اسْتَعِزَّ أبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ دُعَا عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ: أَخْبَرْنِي عَنْ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ: مَا تَسْأَلُنِي عَنْ أَمْرٍ إِلَّا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَإِنْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ: هُوَ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ رَأَيْكَ فِيهِ، ثُمَّ دُعَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عَمَرَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَخْبُرُنَا بِهِ، فَقَالَ: عَلَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ عُثْمَانَ: اللَّهُمَّ عِلْمِي بِهِ أَنَّ سُرِيرَتِهِ خَيْرٌ مِنْ عَلَانِيَتِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ فِينَا مِثْلَهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَاللَّهُ لَوْ تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُكَ.

وَشَاؤُرَّ مَعَهُمَا سَعِيدَ بْنَ زِيدَ أَبَا الْأَعْوَرِ وَأَسِيدَ بْنَ الْحُضَيرِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ أَسِيدُ: اللَّهُمَّ أَعْلَمُهُ الْخَيْرَةَ بَعْدَكَ يَرْضِي لِلرَّضِيِّ وَيَسْخَطُ لِلسُّخْطِ، الَّذِي يُسِرِّ خَيْرًا مِنَ الَّذِي يُعَلِّمُ، وَلَمْ يَلِ هَذَا الْأَمْرُ أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيْهِ مِنْهُ. وَسَمِعَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدُخُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعُثْمَانَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَخَلُونَهُمَا بِهِ فَدَخَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلُ لِرَبِّكَ إِذَا سَأَلْتَكَ عَنِ اسْتِخْلَافِكَ عَمَرَ عَلَيْنَا وَقَدْ تَرَى غِلْظَتَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَجْلِسُونِي، أَبَا اللَّهِ تُخَوِّفُونِي؟ خَابَ مَنْ تَرَوَّدَ مِنْ أَمْرِكُمْ بِظُلْمٍ، أَقُولُ اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ، أَبْلِغْ مَا قُلْتَ لَكَ مَنْ وَرَاءَكَ.

ثُمَّ اضطَجَعَ وَدُعَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَقَالَ: أَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَاهَدَ أَبُو بَكْرٍ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا خَارِجًا مِنْهَا وَعِنْ أَوَّلِ عَهْدِهِ بِالآخِرَةِ دَاخِلًا فِيهَا حِيثُ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ وَيُوْقَنُ الْفَاجِرُ وَيَصُدُّقُ الْكَاذِبُ، إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاسْمَعُوهُ لَهُ وَأَطِيعُوهُ، وَإِنِّي لَمْ أَلِّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَهُ وَنَفْسِي وَإِيَّاكُمْ إِلَّا خَيْرًا، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَيْئَةٌ لِمَنْ يَعْلَمُ فِيهِ وَإِنْ بَدَلَ فَلَكُلَّ امْرَئٍ مَا اكْتَسَبَ مِنِ الْإِثْمِ، وَالْخَيْرُ أَرْدَثُ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ أَمْرَ بِالْكِتَابِ فَخَتَمَهُ.

وفاته:

عن عائشة قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أئي يوم هذا؟ قالت: قلنا يوم الاثنين، قال: فأئي يوم قُبضَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ قالت: قلنا قُبض يوم الاثنين، قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل. قالت وكان عليه ثوب فيه رَدْعٌ من مشقٍ فقال: إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوابين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب، فقلنا: ألا نجعلُ لها جُدُداً كلَّها؟ قال فقال: لا، إنما هو للمُهَلَّةِ، الحَيٌّ أَحَقٌ بالجديد من الميت. قالت فماتت ليلة الثلاثاء، رحمه الله.^١

عن عائشة قالوا: كان أول بذء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبعين خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فجمِّع خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلى بالناس، ويَدْخُلُ الناس عليه يعودونه وهو يشقى كل يوم وهو نازل يومئذ في داره التي قطع له النبي، صلى الله عليه وسلم، وجاهه دار عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان أَلْزَمَهُمْ له في مرضه، وتوفي أبو بكر، رحمه الله، مساء ليلة الثلاثاء لثماني ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مهاجر النبي، صلى الله عليه وسلم، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين ليالٍ، وكان أبو معشر يقول سنتين وأربعة أشهر إلّا أربع ليالٍ، وتوفي، رحمه الله، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة.^٢

١ - الطبقات الكبير (١٨٤ / ٣)

٢ - الطبقات الكبير (١٨٥ / ٣)

قالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ رضيَ اللهُ عنْهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا».

حدُّ الْوَصِيَّةِ:

الْوَصِيَّةُ فِي الْلُّغَةِ: الْعَهْدُ إِلَى الْغَيْرِ، أَوِ الْأَمْرُ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النَّسَاءُ: ١١]، وَقَالَ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا﴾.^١

قَالَ الصَّلَّاتَانُ الْعَبْدِيُّ:

أَلَمْ تَرْ لُقْمَانَ أَوْصَىٰ بَنِيهِ
أَوْصَيْتُ عَمْرًا وَنَعْمَ الْوَصِيِّ
وَقَالَ النَّمْرُودُ:

بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِئْثِلِهِ
كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهِ

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَسَمِّيَتِ الْوَصِيَّةُ وَصِيَّةً، لِأَنَّ الْمَيْتَ لَمْ يَوْصَىْ بِهَا، وَصَلَّى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ بِهَا
بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامِ مَمَاتَهُ.

قَالَ ذُو الرُّمَّةَ:

نَصِيَ اللَّلَيْلَ بِالْأَيَامِ حَتَّىٰ صَلَاثُنَا
مُقَاسِمَةٌ يَشْتَقُّ أَنْصَافُهَا السَّفَرُ
أَبِي نَصِيلِ اللَّلِيْلِ بِالْأَيَامِ.^٢

هَذِهِ وَصِيَّةٌ تَكْتُبُ بِمَاءِ الْذَّهَبِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مُوجَهَةً لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنْهُ، فَإِنْ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنَّا فِي غَايَةِ الْاحْتِيَاجِ إِلَيْهَا وَإِلَى أَمْثَالِهَا مِنَ الْوَصَايَا، وَسَنَتَكَلِّمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شَيْءٍ مِنْ

١ - سورة النساء: الآية / ١٢

٢ - الزاهر في غريب ألفاظ الشافعى (ص: ١٨١)

الفوائد التي في هذه الوصية العظيمة التي أوصى بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفائدة الأولى: لا غنى لأحد عن الوصية.

أول فوائد هذه الوصية العظيمة: أنه لا غنى لأحد عن الوصية أن يوصى بخير يعمله أو يوصى بترك شرٍّ يقع فيه.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإن قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجَّا إِلَّا سَلَكَ فَجَّا عَيْرَ فَحِلَّكَ». ^١

ولقبه صلى الله عليه وسلم بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل.

وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفْلُجُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أُعْطِيَتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ. قَالُوا: فَمَا أَوْلَتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْعِلْمُ».^٢

وعمر رضي الله عنه كان موفور الدين؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعَرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْوَهُ، قَالُوا: مَاذَا أَوْلَتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينَ».^٣

ومع ذلك يوصيه أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه لا غنى لأحد عن الوصية.

١ - تقدم تخرجه

- ٢ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ألي حفص القرشي العداوي رضي الله عنه، حدث رقم: ٣٦٨١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم: ٢٣٩١
- ٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب تفاصيل أهل الإيمان في الأعمال، حدث رقم: ٢٣، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حدث رقم: ٢٣٩٠

الفائدة الثانية: أهمية الوصية وحاجة الناس إليها.

الوصية منهج القرآن لما لها من وقع عظيم في النفوس، وخفة على القلوب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيَّنَا الَّذِينَ أَوْثَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاهُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلْتُهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ

شَهْرًا﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٦.

قال الله تعالى: ﴿فُلَنْ تَعَالَوْا أَتُلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يُلْعَنَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

١ - سورة النساء: الآية / ١٣١

٢ - سورة العنكبوت: الآية / ٨

٣ - سورة الأحقاف: الآية / ١٥

٤ - سورة لقمان: الآية / ١٤

٥ - سورة النساء: الآية / ١٢

٦ - سورة الأنعام: الآية / ١٥٢

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذِلِكُمْ وَصَاعِدُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذِلِكُمْ وَصَاعِدُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ۱.

والوصية من هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاثٍ: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعية الصبحي، وأن أوتر قبل أن أنام» ۲.

وعن أبي ذئر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، ثم انظر أهل بيتك فاعرف لهم منها» ۳.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع: «لا تشرك بالله شيئاً؛ وإن قطعت أو حرقـت، ولا تترك الصلاة المكتوبة متعتمداً، ومن تركها متعتمداً برأته منه الذمة، ولا تشرب الحمر، فإياها مفتاح كل شر، وأطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهم، ولا تنازع ولاة الأمر وإن رأيت أنك أنت، ولا تغرس من الرحـف، وإن هلكت وفر أصحابك، وأنفق من طولك على أهلك، ولا ترفع عصاك عن أهلك، وأخفهم في الله عز وجل» ۴.

وهي واجب على كل مسلم نحو أخيه المسلم، يجب عليك أن تبذل الوصية لمن حولك من الناس عامة، ثم لمن حولك من المسلمين، ثم لأقاربك وأهل بيتك، وهذا أمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يباع على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين روى البخاري ومسلم في صحيحهما؛ فعن قيس بن أبي

١ - سورة الأنعام: الآية / ١٥١ - ١٥٣

٢ - رواه البخاري - كتاب الصوم، باب صيام أيام البياض ثلاثة عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، حيث رقم: ١٩٨١، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وفرضها، باب استحباب صلاة الصبحي، وأن أفلتها رغبات، وأكملها ثمان رغبات، وأوسطها أربع رغبات أو سنت. والحديث على المحافظة عليها، حديث رقم: ٧٢١

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب الوصيـة بالجـار والحسـان إلـيـه، حديث رقم: ٢٦٢٥، والدارمي - ومن كتاب الصيد، باب في إكثار الماء في القدر، حديث رقم: ٢١٠٠، واللفظ له

٤ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب بير والدينه ما لم يكن معصيـة، حديث رقم: ١٨، بسنـد حسن

حازم: سَعَتْ جَرِيرًا رضي الله عنه: «بَأَيْعَثُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الرَّكَاءِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».^١

وعن ابن عمر رضي الله عنهمما قال: حَطَبَنَا عُمُرٌ بِالْجَابِيَّةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيْكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِاصْحَابِيِّ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوُهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلُفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلِفُ، وَيَسْهُدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهِدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةِ فِيْنَ الشَّيْطَانَ مَعَ الْواحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُخْبُوكَةَ الْجَنَّةِ فَلِيَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتْهُ وَسَاءَتْهُ سَيَّتْهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ».^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَاسُ رضي الله عنهمما بمجلسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يُكْفُرُونَ، فَقَالَ: مَا يُبَكِّيْكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَّةَ بُرِّدٍ، قَالَ: فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، وَمَمْ يَصْعَدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِيَّ وَعَيْنِيَّ، وَقَدْ قَضَوْا الدَّيْنَ عَلَيْهِمْ وَبَقَيَ الدَّيْنَ لَهُمْ، فَاقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَخَأْرُوا عَنْ مُسِيَّهِمْ».^٣

وعن العرباض بن ساريَّةَ قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاءِ مَوْعِظَةً بَليغَةً ذَرَتْ مِنْهَا الْعَيْنُونَ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةً مُوْدَعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا

١ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي نصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، حديث رقم: ٥٧، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأنَّ

محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لخصلوها، حديث رقم: ٥٦

٢ - رواه الترمذى - أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم: ٢١٦٥، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب مناقب الأنصار، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، حديث رقم: ٣٧٩٩

يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىِ اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدُ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِيشُ مِنْكُمْ يَرَى
الْحِتْلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فِيمَا ضَلَالَةُ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسْنَتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». ^١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ:
أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أَجِيزُهُمْ. قَالَ: وَسَكَّتَ عَنِ التَّالِثَةِ،
أَوْ قَالَهَا فَأَنْسَيْتُهَا». ^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَكِي، فَقَالَ:
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَائِنَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا
أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَحْدُكَ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمَنْ حَيَّاتِكَ لِمَوْتِكَ. ^٣

مِنْ وَصَائِيَا الْأَنْبِيَا وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وَصِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِأَبْنَائِهِمْ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. ^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧١٤٥، أبو داود - كتاب السنّة، باب في ثور السنّة، حدث رقم: ٤٦٠٧ ، والترمذى - أبواب الععلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدع، حدث رقم: ٢٦٧٦ ، والدارمى - المقدمة، باب اتباع السنّة، حدث رقم: ٩٦ ، وابن ماجه - أبواب السنّة، باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين المهدىين، حدث رقم: ٤٢

٢ - رواه البخارى - كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّثٌ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَحْتَصِمُونَ﴾، حدث رقم: ٤٤٣١ ، ومسلم - كتاب الوصيّة، باب ترك الوصيّة لمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصي فيه، حدث رقم: ١٦٣٧

٣ - رواه البخارى - كتاب الرِّقَاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كُنْ فِي الدُّنْيَا كَائِنَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ، حدث رقم:

٦٤١٦

٤ - سورة البقرة: الآية / ١٣٣ ، ١٣٢

وَصِيَّةُ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ﴾ (١٣) وَوَصِيَّنَا الْإِنْسَانُ بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهُنِّ وَفِصَالُهُ فِي عَامِينِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنِيبُكُمْ إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَلُكْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَرْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَحُورٍ (١٨) وَافْصِدْ فِي مَشِيلَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١﴾.

وَصِيَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٌ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النَّيِّيْ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضْعَ كُلَّ فَارِسٍ - وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ، فَأَخَذَ النَّيِّيْ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْجَامِعَ جُبَّتِهِ فَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِيَسَ مَنْ لَا يَعْقُلُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاهُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصِّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمْرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَهْكَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْتَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَفَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةً كُلِّ شَيْءٍ، وَهَا يُرِزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَهْكَاكَ عَنِ الشَّرِكَ وَالْكِبْرِ»، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشَّرِكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةً يَلْبِسُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَاتَانِ، لَهُمَا شِرَاكًا حَسَنَاتَانِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ:

فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَائِبٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحُقْقِيَّ، وَغَمْصُ النَّاسِ».^١

مِنْ وَصَائِيَّاتِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

وَصِيَّةُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَابْنِهِ:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: فَلَقِيَتِ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَتُهُ: مَا كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي: يَا بْنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ حَيْرَهُ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إِنِّي سَعَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلْمَ، فَقَالَ: أَكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبْ؟ قَالَ: أَكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ».^٢

وَصِيَّةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِيَزِيدَ بْنِ الْأَصْمِ:

عَنْ يَزِيدِ بْنِ الْأَصْمِ بْنِ أَحْمَدِ مَيْمُونَةَ، قَالَ: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنِ لِطْلَحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - وَهُوَ ابْنُ أَحْمَدِهَا - وَقَدْ كُنَّا وَقَعْدَنَا فِي حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَأَصَبَّنَا مِنْهُ، فَبَلَّغَهَا ذَلِكُ، فَأَفْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أَحْمَدِهَا تَلُومَهُ وَتُعَذِّلُهُ، وَأَفْبَلَتْ عَلَيَّ فَوْعَظَتِنِي مَوْعِظَةً بَلِيعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ، ذَهَبَتْ وَاللَّهُ مَيْمُونَةُ، وَرُمِيَ بِرَسَنِكَ عَلَى غَارِبِكَ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لَهُ عز وجل وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحْمَنِ".^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٨٣ ، والبخاري في الأدب المفرد - بابُ الْكِبْرِ، حديث رقم: ٥٤٨ ، والحاكم في المستدرك - كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٥٥ ، بسنده صحيح

٢ - رواه الترمذى - أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابٌ ، حديث رقم: ٢١٥٥ ، وأبو داود الطیالسي - حديث رقم: ٥٧٨ ، بسنده صحيح

٣ - رواه الحاكم في المستدرك - كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم: ٧٠٠٦

وَصِيَّةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لِرَجُلٍ جَاءَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَبِيلِينَ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُؤْدِيُونَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُوصِيَكَ بِأَمْرِيْنِ إِنْ حَفِظْتُهُمَا حُفِظْتَ: إِنَّهُ لَا غَيْرَ إِلَّا عَنْ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَفْقُرُ، فَآتِرْ نَصِيبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَنْتَظِمَ لَكَ انتِظَامًا فَتَزُولَ بِهِ مَعَكَ أَيْنَمَا زُلْتَ".^١

وَصِيَّةُ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحِ التَّمِيمِيِّ لِبَنِيهِ:

عَنْ شَرْقِيِّ بْنِ الْفَطَامِيِّ، قَالَ: قَالَ صَيْفِيُّ بْنُ رَبَاحِ التَّمِيمِيِّ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ اعْلَمُوا أَنَّ أَسْرَعَ الْجُرُمَ عُفُوبَةً الْبَغْيُ، وَشَرَّ النُّصْرَةِ التَّعَدِّيِّ، وَأَلَّمُ الْأَخْلَاقِ الضَّيقُ، وَأَسْوَأُ الْأَدَبِ كَثْرَةُ الْعِتَابِ.^٢

نصيحة مسغر بن كدام لولده:

قال مسغر بن كدام:^٣

أَكِدَامُ إِلَيْيَ قَدْ مَحْضُتُ نَصِيحَتِي
فَاسْعُ لِقَوْلِ أَبِ عَلَيْكَ شَفِيقِي ****

أَمَّا الْمُرَاخَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعْهُمَا
خُلْقَانٍ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِي ****

إِنِّي بَلَوْكُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا
لِمُجاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِي ****

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٤٩ ، وابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٣٤٦٩٥

٢ - رواه ابن أبي الدنيا في ذم البغي - حديث رقم: ٢٥

٣ - حماسة البحتري (ص: ٤٩٠)

الصِّيَحةُ حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ»، قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتُهُ فَسِّلْمُ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاصْحَبْهُ». ^١

وقال الحسن: إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما تَعْجَزُ عنه.

قال ابن رجب: قال الحسن: وقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسى لكم بالله إن أحبت عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة.

وقال فرقـد السـيـخـيـ: قرأـتـ في بعض الكـتبـ: المـحبـ للـهـ عـزـ وـجلـ أـمـيرـ مـؤـمـرـ عـلـىـ الـأـمـرـاءـ، زـمـرـتـهـ أـوـلـ الزـمـرـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، وـمـجـلـسـهـ أـقـرـبـ الـمـجـالـسـ فـيـمـاـ هـنـاكـ وـالـمـحـبـةـ مـنـتـهـيـ الـقـرـبـةـ وـالـاجـتـهـادـ، وـلـنـ يـسـأـمـ الـمـحـبـونـ منـ طـولـ اـجـتـهـادـهـمـ للـهـ عـزـ وـجلـ، يـحـبـونـهـ وـيـحـبـونـ ذـكـرـهـ، وـيـحـبـونـهـ إـلـىـ خـلـقـهـ، يـمـشـونـ بـيـنـ عـبـادـهـ بـالـنـصـائـحـ، وـيـخـافـونـ عـلـيـهـمـ مـنـ أـعـماـلـهـمـ يـوـمـ تـبـدوـ الـفـضـائـحـ، أـوـلـئـكـ أـوـلـيـاءـ الـلـهـ وـأـحـبـاؤـهـ وـأـهـلـ صـفـوـتـهـ، أـوـلـئـكـ الـذـينـ لـاـ رـاحـةـ لـهـمـ دـوـنـ لـقـائـهـ.

وقال ابن علية في قول أبي بكر المزنـيـ: ما فـاقـ أـبـوـ بـكـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـصـومـ وـلـاـ صـلـاـةـ، وـلـكـ بـشـيءـ كـانـ فـيـ قـلـبـهـ، قـالـ: الـذـيـ كـانـ فـيـ قـلـبـهـ الـحـبـ للـهـ عـزـ وـجلـ، وـالـنـصـيـحةـ فـيـ خـلـقـهـ.

وقال الفضـيـلـ بنـ عـيـاضـ: مـاـ أـدـرـكـ عـنـدـنـاـ مـنـ أـدـرـكـ بـكـثـرـةـ الصـلـاـةـ وـالـصـيـامـ، وـإـنـماـ أـدـرـكـ عـنـدـنـاـ بـسـخـاءـ الـأـنـفـسـ، وـسـلـامـةـ الصـدـورـ، وـالـنـصـحـ لـلـأـمـةـ.

وـسـئـلـ اـبـنـ الـمـبارـكـ: أـيـ الـأـعـمـالـ أـفـضـلـ؟ قـالـ: النـصـحـ للـهـ.

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب حق المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، حديث رقم: ٩٩١، بسنده صحيح

وقال عمر: كان يقال: أنسخ الناس لك من خاف الله فيك.^١

لذلك إذا نصحك إنسان إليك أن يتعر وجهك، إليك أن تغضب، إليك أن تأنف، إليك أن تتولى و تستكبر، يجب عليك أن تقبل النصح من جاءك به، حتى لو جاءك النصح من كافر.

منزلة عمر رضي الله عنه عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان عمر بن الخطاب سابقة في الإسلام، ومنزلة عظيمة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو الوزير الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقديم في ترجمته شيء من مناقبه رضي الله عنه؛ وكان عمر رضي الله عنه أحب الناس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فقد روى البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه يوماً: "والله ما على وجه الأرض رجل أحب إلى من عمر، فلما خرج رجع فقال: كيف حلفت أبا بنتي؟ فقلت له، فقال: أعز علىي، والولد ألوط".^٢

ومعنى قوله رضي الله عنه: "والولد ألوط"، يعني: الصدق، أي: الولد أصدق لقلب أبيه من غيره.

ولما كانت لعمر رضي الله عنه تلك المنزلة العظيمة في قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه خصه بتلك الوصية العظيمة.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: «إني موصيك بوصيتك إن حفظتها».

من فوائد هذه الوصية وما أكثر ما فيها من فوائد:

- قيمة الوصية إذا أتت من إنسان له دين وافر وعقل راجح:

أبو بكر رضي الله عنه، خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام، والوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلامه خارج من مشكاة النبوة لطول ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقربه من

١ - جامع العلوم والحكم (ص: ٢٠٣)

٢ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب الولد مبخلاً مجنة، حديث رقم: ٨٤، بسنده حسن

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشبه كلامهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لطول ملازمة هذا الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم فإذا تكلم بكلام يتوهם بعض الناس أنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لشبيهه بكلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ ففي عام الحديبية لما راجع عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنود الصلح، لأنه رأها مجحفة بال المسلمين، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيقني الله أبداً». فذهب عمر لأبي بكر رضي الله عنه يراجعه فقال له أبو بكر رضي الله عنه: «يا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يضيقه الله أبداً»، وذلك لطول ملازمه للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وشدة تأثره به صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي وائل قال: «قام سهيل بن حنيف يوم صيفٍ فقال: أئيَا النَّاسُ، اهْمُوا أنفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَدَبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَنَا. وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَهُ عَمَرُ بْنُ الخطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى باطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَقِيمْ نُعْطِي الدِّينَيَّةِ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيقني الله أبداً. قَالَ: فَإِنْطَلَقَ عَمَرُ فَلَمْ يَصِيرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى باطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامْ نُعْطِي الدِّينَيَّةِ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يضيقه الله أبداً. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرَ فَأَفْرَأَهُ إِيَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ». ^١

١ - رواه البخاري - كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتاب الشروط، حديث رقم: ٢٧٣١، ومسلم - كتاب الجهاد والسيير، باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ١٧٨٥

وأبو بكر رضي الله عنه أرجح الناس عقلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعظمهم ديانة، وأكرمهم أخلاقاً، فإذا وصى فإن وصيته تكتب بماء الذهب، ويُعَضَّ عليها بالنواجد، وليس كل إنسان عاقل سيوصيك. وربما تنقض حباتك، ولم يوصك إنسان عاقل بوصية؛ كما قيل:

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتَكَ نُصْحَةٌ ۖ * * * * *

ليس كل إنسان عاقل سينصحك وليس كل من ينصحك عاقل، فإذا أتت الوصية من مثل أبي بكر رضي الله عنه يجب عليك أن تبادر لامثال ما فيها من الفوائد، كذلك يجب العمل بالوصية إذا كانت في مرضات الله سبحانه وتعالى، وقد يخسر الإنسان دينه إذا فرط في بعض الوصايا.

الأمر في غاية الأهمية قد يوصي إنسان بعض الوصايا فيحمله الكفر على عدم قبولها؛ كهذا الذي أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم بشماله وأبي أن يطعنه حين أمره بالأكل باليمين؛ فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ». قال: لَا أَسْتَطِعُ. قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ. مَا مَنَعَكَ إِلَّا الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ».^١

وهذا الذي رأه النبي صلى الله عليه وسلم وقد غضب غضباً شديداً جداً حتى أحمر وجهه وانتفخت أوادجه - عروق رقبته - فلما نصحه النبي صلى الله عليه وسلم، أبي أن يأخذ بنصيحته؛ فعن عدي بن ثابت: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدُهُ جُلُوسٌ وَاحْدُهُمَا يَسْبُّ صَاحِبَهُ مُعْضِبًا قَدِ الْحَمَرَ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ».^٢

بلغ به الغضب مبلغاً عظيماً، وتملكه حتى جعله يأتي قبول وصية النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ذُكِرَ لم يتذكر، وما وُعظَ لم يتعظ، وما نُصحَ لم ينتصح.

١ - رواه مسلم - كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم: ٢٠٢١

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٦١١٥

من فوائد هذه الوصية العظيمة أن النصح يجب أن يكون سرًا بينك وبين من تتصحه، وإياك أن تتصح أحدًا ملأ من الناس؛ لأنَّه غالباً سيحمله الكبير على عدم قبول نصيحتك، وحينئذٍ لن تكون نصيحة بل ستكون فضيحة؛ قال الشافعي :

تَعَمَّدِي بِنُصْحَكَ فِي إِنْفِرَادِي * * * * *

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ * * * * *

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي * * * * *

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.^١

وقال الشافعي: من ععظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن عظه علانية فقد فضحه وخانه.^٢

وإذا نصحت فلتكن نصيحتك، بصيغة المشفق الحب الرفيق، وليس بصيغة المتعالي الأمر الناهي.

وقد اجتمعت تلك الخصال في وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه، أرسل إليه فلما أتاه وكان قريباً منه بعيداً عن الناس نصحه بهذه الوصية العظيمة، بلسان الحب المشفق.

قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه:

ما قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه؟

أبو بكر رضي الله عنه أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لازمه في حله وترحاله، ولم يختلف عنه في غزواته وأسفاره، وصاحبـه في الغار، والوزير الأول له، فكان عنده من العلم والفقـه ما ليس عند غيره، وقد اكتسبـ من شـسائل النبي صلى الله عليه وسلم وخلالـه، ما جعلـ كلامـه يـشبهـ كلامـه، حتىـ كأنـه خـارـجـ من مشـكـاةـ النـبـوـةـ، فـليـسـ وـصـيـتهـ كـوـصـيـةـ غـيرـهـ وـلـيـسـ نـصـحـهـ كـنـصـحـ غـيرـهـ.

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط: السعادة (٩٥ / ٨)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط: السعادة (١٤٠ / ٩)

وأبو بكر رضي الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم باتباع الخلفاء الراشدين؛ روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذمي في سننهما بسند صحيح عن العريان بن ساريءة، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بِلِيَعَةً، وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْنُونُ، فَقَيْلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظَنَا مَوْعِظَةً مُوَدِّعًا، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدِ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرْوَنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنْنَتِي، وَسُنْنَةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، عَصُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاحِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورُ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالٌ».^١

وأبو بكر رضي الله عنه كان له من رجاحة العقل، ودقة الفهم، نفاذ البصيرة ما ليس عند غيره لطول مصاحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وقربه منه صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن وصيته ستكون مشتملة على الخير العظيم، والنفع العميم.

لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر رضي الله عنه لأنه أراد أن يستخلفه من بعده فقال له: «إِنِّي مُوصِيَكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا». في الكلام حذف اختصار تقديره: إن حفظتها انتفعت بها، وكنت نعم الرجل، وكان هذا الظن بك، وكنت أهلاً لها.

«إِنَّ اللَّهَ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبِلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّ اللَّهَ حَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبِلُهُ فِي اللَّيْلِ».

هذا أول ما في هذه الوصية العظيمة من الآداب، مراعاة حق الله تعالى وترك التهاون به، والقيام به عند أول فرضه، والمبادرة إليه في وقته، امتناعاً لأمر الله تعالى، وعملاً بقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: **«وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضِي»**.^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧١٤٤، وأبو داود - كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، حدث رقم: ٤٦٠٧، والترمذمي - أبواب العلّم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدع، حديث رقم: ٢٦٧٦، وابن ماجه - المقدمة، باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين المهدّيين، حديث رقم: ٤٢، بسند صحيح

٢ - سورة طه: الآية / ٨٤

ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن، التفريط في الطاعات وقت وجوبها، والتهاون في أدائها حتى يفوت وقتها، ومن ذلك التلوم بالإسلام وتسويف التوبة من الكفر والآثام حتى تبلغ الروح الحلقوم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَبِيلِهِ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوِثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^١.

وقال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَاؤْنَا بَيْنِ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعِيًّا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^٢.

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، والتهاون في أدائها حتى يخرج وقتها؛ التهاون في أداء الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها؛ فعن عبادة بن الصامت قال: أَشْهُدُ لَسْمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، مَنْ أَحْسَنَ وَضْوَءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَّمَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَحُشْوَعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».^٣

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْتَنِدٌ يَظْهُورِنَا إِلَى قِبْلَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَبْعَةُ رَهْطٍ: أَرْبَعَةٌ مِنْ مَوَالِيَنَا، وَثَلَاثَةٌ مِنْ عَرَبِنَا، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الظُّهُرِ حَتَّىٰ انتَهَىٰ إِلَيْنَا، فَقَالَ:

١ - سورة النساء: الآية/١٧، ١٨.

٢ - سورة يونس: الآية/٩٠، ٩١.

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٢٧٠، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، حديث رقم: ٤٢٥، وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، حديث رقم: ١٤٠١، وابن حبان - النوع الثاني: ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن الحق الذي في هذا الخبر قصد به الإيجاب.

٤٩ - حديث رقم: ٤٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٦٥٨، بسنده صحيح

«مَا يُجْلِسُكُمْ هَاهُنَا؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ. قَالَ: فَأَرَمْ قَلِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ عزَ وجل؟». قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ رَبَّكُمْ عزَ وجل يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضِيعَهَا اسْتِحْفَافًا بِحَقْهَا، فَأَنَّهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لِوَقْتِهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِحْفَافًا بِحَقْهَا، فَلَا عَهْدَ لَهُ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ عَفَرْتُ لَهُ».^۱

قال أبو عمر ابن عبد البر: ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنَّ معنى حديث عبادة المذكور في هذا الباب، ومعنى حديث كعب بن عجرة هذا: أن التضييع للصلوة الذي لا يكون معه لفاعله المسلم عند الله عهْدٌ هو ألا يُقيِّمْ حُدودَها من مُراعاة وقتِ وطهارة، وتمام رُكوع وسُجود، ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصليها ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها، إلا أنه لا يحافظ على أوقاتها.^۲

قالوا: فأما من تركها أصلًا ولم يصليها فهو كافر. قالوا: وترك الصلاة كفر. واحتجوا بأثار؛ منها حديث أبي الزبير وأبي سفيان، عن جابر، عن النبي صلَّى الله عليه وسلم، أنه قال: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ تَرُكُ الصَّلَاةِ». وما كان في معنى هذا من الآثار.

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوها، والتهاون في أدائها حتى يخرج وقتها؛ ما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الَّذِي تُفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ».^۳

۱ - رواه أحمد - حديث رقم: ۱۸۱۳۲، بسنده صحيح

۲ - التمهيد (۱۵ / ۲۴۰)

۳ - رواه البخاري - كتاب مواعيit الصلاة، باب: إثْمٌ مِنْ فَاتَتِهِ الْعَصْرُ، حديث رقم: ۵۵۲، ومسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث رقم: ۶۲۶

قال ابن عبد البر: وإنما قال، والله أعلم، في هذا الحديث: «فَكَانُوا مُؤْتَرِّ أَهْلَهُ»، ولم يقل: مات أهله، لأن المؤذن يجتمع عليه همأن: هم ذهاب أهله، وهم الطلب بثأره ووثره. فالذي تفوته صلاة العصر، فمُصيّبته لو حصل وفهم، كمُصيبة هذا، والله أعلم.^١

بل إن تأخير صلاة العصر إلى وقت الكراهة مما يوجب لصاحبها الذم، والتعنيف حتى يشبه بالمنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا كسالٍ، ولا يذكرون الله إلا قليلاً؛ فعن العلاء بن عبد الرحمن «أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد. فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعَة من الظهر. قال: فصلوا العصر. فقمنا فصلينا. فلما انصرفنا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تلك صلاة المُنافق، يحبس يرقب الشّمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنفرها أربعاً لا يدْكُر الله فيها إلا قليلاً».

وَمَا يَدْلِي بِخَطْرِ التَّفْرِيظِ فِي الطَّاعَاتِ وَقْتَ وِجْوَاهِهَا، أَن تُأْخِرَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ وَقْتِ وِجْوَاهِهَا لَا يُمْكِنْ تَدارِكَهُ وَيُجْعَلُهَا صَدْقَةً مِن الصَّدَقَاتِ، وَتَظْلِمُ الرَّكَأَةَ مَعْلَقَةً فِي ذَمَّتِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى؛ فَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ، قَالَ: «فَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّعُوِ وَالرَّقْبَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ».^٣

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِزِكَّةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ».

١ - التمهيد (٩ / ٣٢)

^{٦٢٢} - رواه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التكبير بالعصر، حديث رقم:

^٣ - رواه أبو داود- كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، حديث رقم: ١٦٠٩ ، بسنده حسن

^٤ - رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، حديث رقم: ١٥٠٩، ومسلم- كتاب الزكاة، باب الأمر باخراج زكوة

الفطر قبا، الصلاة، حديث رقم: ٩٨٦

قال ابن القيم: ومقتضى هذين الحديدين أنه لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، وأنها تقوت بالفراغ من الصلاة. وهذا هو الصواب، فإنه لا معارض لهذين الحديدين ولا ناسخ، ولا إجماع يدفع القول بهما. وكان شيخنا يُقْوِي ذلك وينصره.^١

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، أن مَنْ امتنع عن أداء الزكاة وقت وجوبها أخذت منه قهراً وشطر ماله؛ عقوبة له على امتناعه عن أدائها وقت وجوبها؛ فعنْ بَهْرَبْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي كُلِّ سَائِمَةٍ إِبَلٌ فِي أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونَ، وَلَا يُنْرَقُ إِبَلٌ عَنْ حِسَابِهَا مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِراً - قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ مُؤْتَجِراً بِهَا - فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّ أَخِذُوهَا وَشَطَرَ مَالِهِ، عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِأَلِّيْلِ مُحَمَّدٌ مِنْهَا شَيْءٌ».^٢

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، أنَّ مَنْ أَخْذَ أَسِيرًا ثُمَّ أَسْلَمَ في الأسر يسقط الخيار في قتله، ويبقى الخيار بين الاسترقاء والمن والفداء؛ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفاءِ لِبَنِي عَقِيلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسَرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَاتَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: يَمَّا أَخْذُتِنِي، وَبَمَّا أَخْذَتِ سَابِقَةُ الْحَاجِ؟ فَقَالَ: (إِعْظَامًا لِذَلِكَ) أَخْذُتِكَ، بِجَرِيَةِ حُلَفاءِكَ ثَقِيفَ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ، أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعَمْنِي، وَظَمَانُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ. فَقُدِّيَ بِالرَّجُلَيْنِ.^٣

١ - زاد المعاد ط: عطاءات العلم (٢/٢٥)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٠٠٤١، وأبو داود - كتاب الزكاة، باب في زكوة السائمة، حديث رقم: ١٥٧٥، والنسائي - كتاب الزكاة، باب عقوبة مانع الزكاة، حديث رقم: ٢٤٤٤، بسنده صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، حديث رقم: ١٦٤١

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، البخل بالمال وعدم المواساة به حال الحياة، ثم بذلك عند معاينة الموت؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ» قَالَ: أَنْ تَصَدِّقَ وَأَنْتَ صَحِيْحٌ حَرِيصٌ تَأْمُلُ الْغَنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ».^١

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات، ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن، التأخر يوم الجمعة حتى يصعد الخطيب المنبر، فلا يكتب العبد في الصحف التي تصعد بها الملائكة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أُبُورَ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّفُوا الصُّحْفَ وَجَاهُوْهَا يَسْتَمِعُونَ الدِّكْر».^٢

والمراد بطبي الصحف: طي صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها، فمن جاء بعد ذلك فاته هذا الفضل وإن أدرك الجمعة؛ لما ثبت عند ابن ماجه في هذا الحديث: «فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَجْبَيْهُ بِحَقِّ إِلَى الصَّلَاةِ».^٣

قال السندي قوله: «إِلَى الصَّلَاةِ» أي: فله أجر الصلاة وليس له شيء من الزيادة.^٤

وما يدل على خطر التفريط في الطاعات، ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن في ترك تلك الغنائم الباردة، وتضييع تلك الأجر العظيمة، التفريط في عبادات رتب الشارع عليها أجوراً عظيمة؛ روى الإمام أبو داود وابن ماجه في سنتهما بسندهما صحيح عن أوس بن أوس التقي سمعت رسول الله صلى

١ - رواه البخاري - كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت، حدث رقم: ٢٧٤٨، ومسلم - كتاب الركوة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حدث رقم: ١٠٣٢

٢ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حدث رقم: ٣٢١١، ومسلم - كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، حدث رقم: ٨٥٠

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة، حدث رقم: ١٠٩٢

٤ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٣٤٠)

الله عليه وسلم يقول: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكِبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَمَمْ يَلْعُغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٌ أَجْرٌ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا».^١

ومهما بحثت فلن تجد حديثاً صحيحاً فيه أجر أعظم من هذا الأجر الذي ذكر في هذا الحديث، فمن أتي بتلك الآداب مجتمعةً كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها، كأنه صام هذه السنة وكأنه قامها لله سبحانه وتعالى، وهذا الأجر لمن أتي بتلك الآداب مجتمعة، ومن اختل عنده شرط من هذه الشروط الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم كعدم الاغتسال ليوم الجمعة، وعدم التبشير، أو أن يجلس في آخر المسجد وعنه متسع في مقدمة المسجد بقرب الإمام، أو تشاغل ولم ينصت، أو لغى والإمام يخطب فقد فوت على نفسه الأجر الموعود.

ومن التأخر المذموم التأخر عن صلاة الجمعة فلا يأتي الصلاة إلا وقد فرغ منها؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخْرَرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ، وَلَيَأْتُمْ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخِّرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».^٢

ومن التأخر المذموم التأخر عن الصف الأول؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّىٰ يُؤَخِّرُهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ».^٣

وإذا كان هذا حال من يتاخر عن صلاة الجمعة، ومن يتاخر عن الصف الأول فإن من يتخلف عن الصلاة أسوأ حالاً، وأقع ما لا، والوعيد الوارد فيمن هذا حاله أعظم بكثير جداً؛ فعن أبي هريرة «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمِرَ رَجُلًا

١ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، حدث رقم: ٣٤٥، وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسنن فيها، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، حدث رقم: ١٠٨٧، وأبو داود الطيالسي في مسنده - حدث رقم: ١٢١٠

٢ - رواه أحمد - حدث رقم: ١١٥١١، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب صفات النساء وكراهيته التأخر عن الصف الأول، حدث رقم: ٦٨٠، والنمسائي - كتاب الإمامة، الاتتمام بن يأتم بالإمام، حدث رقم: ٧٩٥، بسنده صحيح

٣ - رواه أبو داود - كتاب الصلاة، باب صفات النساء وكراهيته التأخر عن الصف الأول، حدث رقم: ٦٧٩، بسنده صحيح

يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَحَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمِرُهُمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزْمِ الْحَطَبِ بِيُوْتَهُمْ. وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظِيمًا سَمِينًا لَشَهَدَهَا» - يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ -^١

وكونه بهم بذلك وهو المعمول رحمة للعالمين يدل على خطورة هذا الذنب، وعظم هذا الجرم.

فالامر خطير جد خطير، أن يؤدي إنسان صلاة الليل في النهار أو يؤدي صلاة النهار في الليل فلا يصلی الفجر إلا بعد طلوع الشمس، ولا يصلی العصر إلا بعد غروب الشمس، وقد توعد الله تعالى على ذلك بالنار، وأخبر أن ذلك تضييع للصلوة؛ قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ حَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾^٢.

وعن القاسم بن حميد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ حَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيَّابًا﴾ [مريم: ٥٩]، قال: أضاعوها عن مواقيتها.^٣

والعقل هو من يقتني تلك الفوائد، ويقاد إلى تلك الفضائل؛ قال عمر رضي الله عنه: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العاقل الذي يعلم خير الحirين وشر الشررين.

ولا شك أن هذا الذي يفترط في حق الله تعالى، ويتوانى في الاستجابة إليه حتى يفوت وقته، ولا يمكنه تداركه، سفيه عاجز الرأي؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

وعاجز الرأي مضياع لفرصتهِ **** حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَا

وقال الشاعر:

أَنْتُمْ أَنَّاسٌ عَظَامٌ لَا حَلُومَ لَكُمْ **** لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ الرِّشْدَ أَمْ غَابَا

١ - رواه البخاري - كتاب الإشخاص والخصومات، باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت بعد المعرفة، حديث رقم: ٢٤٢٠، ومسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجمعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، حديث رقم: ٦٥١، وللهذه لفظ مسلم

٢ - سورة مريم: الآية / ٥٩

٣ - رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة - حديث رقم: ٣٩، والطبراني في التفسير (١٥ / ٥٦٧)

لا تبصرون وجوه الرأي مقبلة ***** وتبصرون إذا ولين أذنابا

«وَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةُ حَتَّى تُؤْدَى الْفَرِيضَةُ».

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه «وَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةُ حَتَّى تُؤْدَى الْفَرِيضَةُ». دل عليه ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيَّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ إِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَرَأُلْ عَبْدِي يَتَمَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أُحِبَّتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْسِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيَّذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّثَ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدِّي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرُهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرُهُ مَسَاءَتَهُ».^١

الفرض لغة: القطع.

يطلق الفرض ويراد به عدة معان: منها الواجب، يقال فرضت الشيء أفرضه فرضاً وفرضته للتكتير: أوجبته. قال تعالى: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاها وَفَرَضْنَاها﴾^٢.

والفرض: ما أوجبه الله عز وجل، سمي بذلك لأن له معايير محدوداً. وفرض الله علينا كذلك وકذا وافتراض أي أوجب. وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾^٣. أي أوجبه على نفسه بإحرامه.

والفرض: العطية المسوومة، وقيل: ما أعطيته بغير قرض. وأفرضت الرجل وفرضت الرجل وافتراضه فإذا أعطيته. وقد أفرضته إفراضاً.

والفرض: الحذر في الشيء والقطع، وفرضت العود والزناد والمسوأك وفرضت فيهما أفرض فرضاً: حذرت فيهما حزاً. وقال الأصمسي: فرض مسوأك فهو يفرضه فرضاً إذا حزه بأسنائه.

١ - رواه البخاري - كتاب الرقاد، باب التواضع، حديث رقم: ٦٤٧

٢ - سورة النور: الآية / ١

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٩٧

أَقْسَامُ الْفَرْضِ:

ينقسمُ الْفَرْضُ بِاعْتِبَارِ فَاعِلِهِ، إِلَى قَسْمَيْنِ:

الأَوْلَى: فَرْضُ عَيْنٍ، وَهُوَ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَكْلُوفٍ بِعِينِهِ بِحِيثُ لَا تَبِرُّ ذَمَّتَهُ مِنْهُ بِفَعْلٍ غَيْرِهِ لَهُ؛ كَعَامَةِ الْعِيَادَاتِ.

الثَّانِي: فَرْضُ كِفَائِيَّةٍ، وَهُوَ مَا طَلَبَهُ الشَّارِعُ مِنْ مَكْلُوفِيْنَ بِحِيثُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَهُ بَعْضَهُمْ سُقطَ طَلَبُهُ عَنِ الْآخَرِيْنَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ أَثْمَوْا جَمِيعًا لِعدَمِ فَعْلِهِ؛ كَالْأَذَانِ وَصَلَاتِ الْجِنَانَةِ، وَالْجِهَادِ، وَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْفَرْضَ الْعَيْنِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الْفَرْضِ الْكَفَائِيِّ، وَبِرِّي بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْاشْتِغَالَ بِفَرْضِ الْكِفَائِيَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الْاشْتِغَالَ بِفَرْضِ الْعَيْنِ؛ قَوْلُ الْإِسْحَاقِ الْإِسْفَارِيِّيِّ وَإِمامِ الْحَرَمَيْنِ وَأَبُوهُ الشَّيخِ أَبُو مُحَمَّدِ الْجُوَيْنِيِّ، وَقَوْلُ الْقِيَامِ بِفَرْضِ الْكِفَائِيَّةِ يَرْفَعُ الْإِثْمَ عنِ الْأَمَّةِ كُلُّهَا، أَمَّا مِنْ فَعْلِ فَرْضِ الْعَيْنِ قَدْ رَفَعَ الْإِثْمَ عَنِ نَفْسِهِ فَقَطْ، وَكَذَلِكَ فَرْضُ الْكِفَائِيَّةِ نَفْعُهُ مُتَعَدِّدٌ، وَفَرْضُ الْعَيْنِ نَفْعُهُ قَاصِرٌ عَلَى صَاحِبِهِ، قَالَ الْأَمَّامُ الْجُوَيْنِيُّ: ثُمَّ الَّذِي أَرَاهُ أَنَّ الْقِيَامَ بِمَا هُوَ مِنْ فَروضِ الْكَفَائِيَّاتِ أُخْرَى بِإِحْرَازِ الْدَّرَجَاتِ، وَأَعْلَى فِي فُنُونِ الْقُرَبَاتِ مِنْ فَرَائِضِ الْأَعْيَانِ.^١

قال الزركشي: حَكَاهُ الْأَسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَارِيِّيِّ فِي "شَرِحِ كِتَابِ التَّرْتِيبِ" وَجَزَّمَ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ الْجُوَيْنِيُّ فِي كِتَابِهِ الْحِيطِ بِمَذَهَبِ الشَّافِعِيِّ "وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ إِمامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِهِ "الْغَيَاثَيِّ".^٢

وقال صاحب مراقي السعود:

وَرَأَمَ الْأَسْتَاذُ وَالْجُوَيْنِيُّ وَنَجْلَةُ فَرْضٍ يُفْضِلُ الْعَيْنَ

والراجح قول الجمهور؛ لأن عناية الشارع بفرض الأعيان أكثر من عنايته بفرض الكفائيات.

وَالنَّفْلُ بِالسُّكُونِ: الْرِّيَادَةُ.

١ - انظر غياث الأمم في التياث الظلم (ص: ٣٥٨، ٣٥٩)، تحقيق د. عبد العظيم الدبي卜.

٢ - البحر المحيط في أصول الفقه (١ / ٣٣٢)

قال ابن منظور: كُلُّ عَطِيَّةٍ تَبَرَّعَ بِهَا مُعْطِيهَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلٍ حَيْرٍ فِيهِ نَافِلَةٌ. أَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ: النَّفَلُ الْغَنَائِمُ، وَالنَّفَلُ الْهَبَةُ، وَالنَّفَلُ التَّطْوُعُ. أَبْنُ السَّكِّيْتِ: تَنَفَّلَ فُلَانٌ عَلَى أَصْحَابِهِ إِذَا أَخْذَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخْذُوا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ. تَنَفَّلْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ أَيْ فَضَّلَتِهِ. وَالنَّفَلُ، بِالْتَّحْرِيكِ: الْغَنِيمَةُ.^١

والنَّفَلُ وَالنَّافِلَةُ: مَا يَفْعُلُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا لَا يَحِبُّ عَلَيْهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾؛ النَّفَلُ وَالنَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ التَّطْوُعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحِبُّ، وَمِنْهُ نَافِلَةُ الصَّلَاةِ. وَالنَّفَلُ: التَّطْوُعُ.

وَالنَّافِلَةُ: وَلْدُ الْوَلِدِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ لَأَنَّ الْأَصْلَ كَانَ الْوَلَدَ فَصَارَ وَلْدُ الْوَلِدِ زِيَادَةً عَلَى الْأَصْلِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً؛ كَأَنَّهُ قَالَ وَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ فَكَانَ كَالْفَرْضِ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً، فَالنَّافِلَةُ لِيَعْقُوبَ حَاصِّةً لِأَنَّهُ وَلْدُ الْوَلِدِ أَيْ وَهَبْنَا لَهُ زِيَادَةً عَلَى الْفَرْضِ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ إِسْحَاقَ وُهِبَ لَهُ بِدُعَائِهِ وَزِيَادَةُ يَعْقُوبَ تَفْضُلًا.^٢ فِمَكَانَةُ الْفَرْضِ أَعْظَمُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَكَانَةِ النَّفَلِ، بَلْ لَا تَقْبِلُ نَافِلَةُ أَصْلًا مَا لَمْ تَؤْدِي الْفَرِيضَةُ، كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَعْلَمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاتِبٍ قَالَ: كَانَ عُمُرٌ إِذَا هَبَطَ عَنِ السُّوقِ مَرَّ عَلَى الشَّفَاءِ ابْنَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَمَرَّ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ قَالَ: «أَيْنَ سُلَيْمَانُ؟» ابْنُهَا، قَالَتْ: نَائِمٌ قَالَ: «وَمَا شَهِدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ؟» قَالَتْ: لَا، قَامَ بِالنَّاسِ الْلَّيْلَةَ، ثُمَّ جَاءَ فَضَرَبَ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ عُمُرٌ: «شُهُودُ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ حَيَّ الصُّبْحِ». ^٣

وَعَنِ ابْنِ أَبِي عَمْرَةِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جِئْتُ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: «شُهُودُ صَلَاةِ الصُّبْحِ كَقِيَامِ لَيْلَةِ الْعِشَاءِ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةِ». ^٤

١ - لسان العرب - مادة (ن ف ل)

٢ - لسان العرب - مادة (ن ف ل)

٣ - مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٣ / ١)

٤ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الصلاة، في التخلف في العشاء والفجر وفضل حضورهما، حديث رقم: ٣٣٢١

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قَالَ عَطَاءً: «شُهُودُ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ مَا كَانَتْ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامٍ لَيْلَةٍ، وَصِيَامٍ يَوْمٍ».^١

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه «وَإِنَّمَا لَا تُفْلِئُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ». هو ما يعرف بفقه الأولويات، وهو أمر في غاية الأهمية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الواجب تحصيل المصالح وتكتميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدنىهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما: هو المشروع.^٢

ويختلط كثير من الناس فيقدم غير المهم على المهم أو يقدم ما لا يحتاجه على ما هو في أمس الحاجة إليه، وهذا خطأ عظيم، وهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد دلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم على فقه الأولويات؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَعَاذَ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعْثَةِ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي فَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهُدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، ثُوَّبَنَّ مِنْ أَعْيَانِهِمْ، فَتُرْكُ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».^٣

وما يدل على تقديم الفريضة على النافلة؛ أنه لا يجوز إحداث نافلة إذا ضاق وقت الفريضة فلم يتسع لسوها؛ فإذا دخل إنسان المسجد يريد أن يصل إلى صلاة الوضوء بدأ بالفريضة، ولا يجوز له أن يصل قبلها نافلة.

١ - رواه عبد الرزاق في مصنفه- كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في جماعة، حديث رقم: ١٩٤٤

٢ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص: ٤٠)

٣ - رواه البخاري- كتاب المغازي، بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٤٧، ومسلم- كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، حديث رقم: ١٩

وإذا أقيمت الصلاة المكتوبة، لم يشتعل عنها بغيرها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة».^١

قال ابن قدامة: وإذا أقيمت الصلاة، لم يشتعل عنها بنافلة، سواء خشي فوات الركعة الأولى أم لم يخش. وبهذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وعروة، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور. وروى عن ابن مسعود، أنه دخل والإمام في صلاة الصبح، فركع ركعتي الفجر. وهذا مذهب الحسن، ومكحول، ومجاهد، وحماد بن أبي سليمان. وقال مالك: إن لم يخف فوات الركعة رکعهما خارج المسجد. وقال الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وأبو حنيفة: يركعهما إلا أن يخاف فوات الركعة الأخيرة. ولنا، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة». رواه مسلم؛ وأن ما يفوته مع الإمام أفضل مما يأت به، فلم يشتعل به، كما لو خاف فوات الركعة. قال ابن عبد البر في هذه المسألة: الحجة عند التنازع السنة، فمن أدلى بها فقد فلوج، ومن استعملها فقد نجا. قال: وقد روت عائشة، رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين أقيمت الصلاة، فرأى ناسا يصلون، فقال: «أصلاتان معا؟».^٢

وكان عمر يضرب على صلاة بعد الإقامة.

وسائل أحمد عن رجل بقي عليه ركعتا الفجر والمؤذن يقيم أي ذلك أحب إليك يكبر مع الإمام ثم يقضي، أو يركعهما ثم يدخل في صلاة الإمام؟

قال: السنة فيه إذا أقيمت الصلاة فلا يصلی ركعتي الفجر في المسجد أبداً.^٣

«إِنَّمَا تَثْقَلْتُ مَوَازِينٌ مَنْ ثَقَلْتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ، وَثَقَلَهُ عَلَيْهِمْ، وَحُقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا».

١ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن، حدیث رقم: ٧١٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ - المغني لابن قدامة (١١٩ / ٢)

٣ - مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٨٢٠ / ٢)

وَالْمِيزَانُ حُقٌّ؛ يَنْصِبُ اللَّهُ تَعَالَى مِيزَانًا لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّاتٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ إِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴿ [الأعراف: ٨، ٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالٌ حَبَّةٌ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنتِياء: ٤٧] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ حَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠١] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيهُ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ .١.

وَتَوَزَّنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعَبَادِ؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ حَقِيقَتَانِ عَلَى الْلِسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».^٣

وَتَوَزَّنُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُبَشِّرُ لَهُ تِسْعُ وَتِسْعُونَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَا بُرْجُلٌ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمٌ عَلَيْكَ، فَيُحْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ

١ - سورة القارعة: الآية / ٦ - ١١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥١٧، وأبو داود - باب في حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤٧٩٩، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الدعاء، باب فضل الشّسببيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم - كتاب الذّكر، والدّعاء، والتّوبّة، والاسْتغفار، باب فضل التّهليل، والتّسببيح، والدّعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤

مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلِمُ، قَالَ: فَيُوضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ». ^١

وَيُوزَنُ بِهِ الْعَبادُ أَنفُسُهُمْ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْوضَةٍ. وَقَالَ: افْرُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَزْنَا». ^٢

وَعَنْ زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَحْتَزِرُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَاكًا مِنْ أَرَاكِ، وَكَانَ فِي سَاقِيهِ دَقَّةٌ، فَصَحَّكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دَقَّةٍ سَاقِيهِ، وَالَّذِي تَفَسِّي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحْدِي». ^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْأَكْوَلِ الشَّرُوبِ الْعَظِيمِ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَرْكَعُ كَمَا قَالَ وَقَرَأَ: «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَزْنَا» [الْكَهْفِ: ١٠٥].

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرْيَشٍ، فَأَدْنَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَبَهُ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ، أَتَعْرِفُ هَذَا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، هَذَا أَوْسَطُ قُرْيَشٍ حَسَبِيَاً، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْبَأْتَكَ بِعِلْمِي فِيهِ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَقَالَ: «هَذَا مَنْ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَزْنَا». ^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٩٩٤، وابن ماجه - كتاب الرُّثْدُ، باب ما يُرجحى من رحمة الله يوم القيمة، حدث رقم: ٤٣٠٠، والحاكم - كتاب الإيمان، حديث رقم: ٩، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، باب: ﴿أَوَلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَخِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الآية، حدث رقم: ٤٧٢٩، ومسلم - كتاب صفة القيمة والجنة والنار، حديث رقم: ٢٧٨٥

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٢٠، وابن حبان - كتاب إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ذكر تمثيل المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاغات ابن مسعود التي كان يسبيلها من قداميه بأحد في ثقل الميزان يوم القيمة، حديث رقم: ٧٠٦٩، بسنده صحيح

٤ - رواه ابن حجر وابن أبي حاتم - حديث رقم: ١٣٠٠٣

٥ - رواه البزار - حديث رقم: ٤٤٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ١٢٨٢

ويوزن ذلك ميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق، تأكيداً للحجج، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعدنة.

وأما الكفار فلا يقام لهم ميزان ابتداءً؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنِسْكُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَهَمَّ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقْيِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزِنًا﴾ (١).****

ولا يقام لهم يوم القيمة ميزان؛ لأن أعمالهم لا قيمة لها ولا وزن لها؛ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرِمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ إِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَيَاءِ إِنَّمَا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٠٢) **قُلْ هَلْ نُنِسْكُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)** **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَهَمَّ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقْيِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزِنًا (١٠٥)** **ذَلِكَ حَرَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ إِمَّا كَفَرُوا وَأَخْنَدُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوا (١٠٦)** [الكهف: ١٠٢ - ١٠٦]، وقال تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَحْدُهُ شَيْئًا** [النور: ٣٩]، وقال تعالى: **وَقَدِيمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ** (٢).

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمٌ وَلَا يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسَوَى مَا عَمِلَ
عُدْوَانُهُ أَوْبَأَهُ وَمَقْرِفٍ نَاجٌ فَبَيْنَ مِيزَانُهُ رَاجِحٌ

١ - سورة الكهف: الآية / ١٠٣ - ١٠٥

٢ - سورة محمد: الآية / ١

«إِنَّمَا ثَقَلْتُ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلْتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ، وَثَقَلَهُ عَلَيْهِمْ».

قول الصديق رضي الله عنه: «إِنَّمَا ثَقَلْتُ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلْتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»، يحتمل أمرين: الأول: أنَّ الْحَقَّ ثقيل لما له من القدر العظيم، والمكانة السامية، فإن فيه نجاة العبد يوم القيمة، وبه تغفر الذنوب وتکفر السيئات، وترفع الدرجات.

ويوصف الشيء بأنه ثقيل إذا كان له قدر كبير، يقال: فلان ثقيل، إذا كانت له مكانة كبيرة، ووصف الله تعالى القرآن بذلك لما له من المكانة السامية، والمنزلة العالية الرفيعة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك القرآن، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيمة.^١

الثاني: أن الحق له ثقل على النفوس، ويحتاج إلى صبر ومکابدة؛ لأن فيه تکليفاً، والتکلیف: طلب ما فيه مشقة، والمشقة في التکاليف وإن كانت محتملة إلا أنها لها ثقل على النفوس؛ قال قتادة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. ثقيل والله فرائضه وحدوده.^٢

وهذا معنى ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حُقُّتِ الجنةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقُّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».^٣

قال ابن هبيرة: قوله: حفت الجنة أي أحیطت بالمكاره، وذلك أن المكاره هي ما يكرهه الآدمي من خروج مال عن يده في صدقة، أو فجعة بحميم له، أو خروج نفسه بالجهاد في سبيل الله أو ذهاب عرضه مع من يغضبه، أو صبر على لذة حرمة لأجل الله، أو احتساب طعام وشراب وفراق زوجة في صيام لأجل الله تعالى، أو رغبة من وطء وأهل بقصد إلى الحج، أو صبر على برد ماء في إسباغ وضوء في شدة برد لأجل الله تعالى، إلى غير ذلك. كما حفت النار أي أحیط بها بالشهوات، فجعل جانب

١ - تفسير الطبری (٣٦٦ / ٢٣)

٢ - تفسير الطبری (٣٦٥ / ٢٣)

٣ - رواه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم: ٢٨٢٣

منها يدخل إليه من شهوة الزنا، وجانب يدخل إليه بأكل الربا، وجانب منها بشرب الخمر، وجانب منها بالغدر، وجانب بالنمية، وجانب بالغيبة إلى غير ذلك.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا حَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدَ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ إِلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ إِلَيْهَا فَحُفِّظَ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفِّظَ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتْكَ لَقَدْ خُفِّظْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: ادْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ إِلَيْهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ إِلَيْهَا فَحُفِّظَ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا». ^٢

وقال مقاتل: يعني القرآن شديداً، لما في القرآن من الأمر والنهي والحدود والفرائض.^٣

وقال الزجاج: جاء في التفسير أنه يثقل العمل به، لأن الحلال والحرام والصلوة والصيام وجميع ما أمر الله به أن يعمل، ونفي عنه، لا يؤديه أحد إلا بتكلف ما يثقل عليه.^٤

وقال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاطِئِينَ﴾^٥.

عن الضحاك، في قوله: ﴿وَإِنَّمَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاطِئِينَ﴾، قال: إنما لثقلة.^٦

١ - الإفصاح عن معاني الصحاح (٥ / ٣٨٧)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٧٤٤، وأبو داود - كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، حديث رقم: ٨٣٩٨، وأبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء حفت الجنة بالمكانه وحفت النار بالشهوات، حديث رقم: ٢٥٦٠، بسنده صحيح

٣ - تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٤٧٥)، وانظر التفسير البسيط (٢٢ / ٣٥٢)

٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٤٠)

٥ - سورة البقرة: الآية/ ٤٥

٦ - تفسير الطبرى (١ / ١٥)

قال ابن جرير: ويعني بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَة﴾: لشديدة ثقيلة. ويعني بقوله: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاسِعِينَ﴾: إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواه، المصدقين بوعده ووعيده.^١

ومن ذلك دفع السيئة بالحسنى، كمقابلة الظلم بالصفح والعفو، ومقابلة السب والشتم بالدعاء، ومقابلة القطيعة والحرمان، بالصلة والبر والإحسان، وهو أمر لا تطيقه إلا نفوس لها حظ عظيم من الخير، ومنزلة سامية من الفضل، ودرجة كبيرة من نبل الأخلاق، ومعالي الشمائل، وكريم الصفات؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَرَبِّ حَمِيمٍ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾.^٢

أي: لا يؤتى بهذه الخصلة العظيمة من خصال مكارم الأخلاق إلا أولوا العزائم، أصحاب الهمم العالية، والنفوس الشريفة السامية، الذين وطنوا أنفسهم على الصبر على المكاره، وتخلقوا بالحلم، ومرنوا على كظم الغيظ، وكبح جماح النفس إذا دعاها داعي الغضب للانتصار عند الإساءة، والتشفى عند المعاقبة، ومن كان هذا حاله فإنه بلا شك لا حظ من الدين عظيم، وقدر من العلم وافر، ونصيب من العقل باهر.

قال أبو حفص النسفي: أي: وما يعطى هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة، وما يُوفَقُ لتلقيتها؛ أي: قبولاً واستقبالها وأخذها. وقيل: أي: الموعظة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: ووطنوا أنفسهم على الصبر على المكاره، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾: أي: ذو نصيب وافر من العقل والعلم.^٣

وقد بلغ الأنبياء والرسلون من ذلك الحظ مبلغًا ليس بعده غاية، ولا وراءه لأحد مطلبًا؛ ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع المثل في الغفو والصفح والإعراض، عنم أساء إليه، بل والإحسان إليه على عظم إساءاته؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنِ الْأَبْلِيلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ

١ - تفسير الطبرى (١/١٥)

٢ - سورة فصلت: الآية/٣٤، ٣٥

٣ - التيسير في التفسير (١٣/١٨٤)

ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا حُبْرٌ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَعَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرْمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا».^١

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهمما قَالَ: «لَمَّا تُؤْتِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلْوَلَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيهِ قَمِيصَهُ يُكْفِنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخْذَ بِتَوْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ هَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا حَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وَسَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْمِ عَلَى قَبْرِهِ﴾.^٢

فَهَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلْوَلَ رَأْسُ الْمَنَافِقِينَ الَّذِي تَوَلَّ كِبَرَهُ فِي حَدِيثِ الْإِلْفَكِ، وَالَّذِي قَالَ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ؛ جَابَرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَّةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَأْلُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعْوَهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللهُ لَئِنْ رَحَعْنَا

١ - رواه البخاري - كتاب التفسير، باب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلي الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حدث رقم: ٣١٥٠، ومسلم - كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حدث رقم: ١٠٦٢

٢ - رواه البخاري - سورة براءة، باب: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْمِ عَلَى قَبْرِهِ﴾، حدث رقم: ٤٦٧٢، ومسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حدث رقم: ٢٧٧٤

إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَزَ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». ^١

ومع ما قاله وما فعله في حربه لدين الله، وصدقه عن سبيل الله، وعدائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعطي لابنه قميصه ليكتفنه فيه، وصلى عليه حتى نهاده تعالى عن الصلاة عن المنافقين والاستغفار لهم.

وهذا أبو بكر الصديق ضي الله عنه قال له رجل: لأسبنك سبباً يدخل معك قبرك، فقال له الصديق رضي الله عنه: معك والله يدخل لا معى.

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأنفسنّ لك. قال: هنا لك وقعت في الشّغل.

قال: كأنك تحدّني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنّ لك عشراً. قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة.

وشتم رجل أبا ذر، فقال: يا هذا، لا تغرق في شتمنا ودع للصلاح موضعًا، فإنما لا نكافئ من عصى الله فيما بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وهذا الشعبي عامر بن شرحبيل نسب إليه رجلًا أمويًّا قبيحة، فقال له الشعبي: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُّهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسْيِئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَانَمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَرَأُلُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». ^٢

١ - رواه البخاري - كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُهُمْ أَمْ لَا مُسْتَغْفِرَ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، حديث رقم: ٤٩٠٥، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ طالما أو مظلوما، حديث رقم: ٢٥٨٤

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم، وتحريم قطعتها، حديث رقم: ٢٥٥٨

فإن مثل هذه الخصال القطيعة مع الإساءة من الجهل من أنقل الأشياء على النفوس، ولا يكاد يتحملها إلا الأفذاذ كبار النفوس، وتكتفي كل واحدة منها لتسبب نفوراً وقطيعة طول العمر، فكيف إذا اجتمعت؟

قال صاحب المرقاة: قوله: «مَا دُمْتَ» واقع موقع التأكيد وإشعار بأن هذا هو المسلك السديد، وإن كان على النفس لشديداً.^١

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَمَا تَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحِينَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ تَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّيمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَا حَيْثُ أَبِي فَأَفْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحْلَ مِينِي فَعُلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسُ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُولُ مِنَ اللَّيلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكَبَرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِعَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَبِي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا حَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَخْتَرُ عَمَلًا، فُلِّتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِ وَبَيْنَ وَالدِّي غَضَبَ وَلَا هِجْرَة، وَلَكِنِّي سَعَثْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي ثَلَاثَ مَجَالِسٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَاتٍ، فَأَرَدْتُ أَوِي إِلَيْكَ فَأُنْظِرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرْكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَيْتُ دَعَائِي، فَقَالَ: مَا هُوَ

١ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصاييف (٣٠٨٧ / ٧)

إِلَّا مَا رَأَيْتَ عَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلَّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى حَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ،
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتُ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ.^١

تأمل قول الصحابي رضي الله عنه وهو يتكلّم عن أرجى عمل عمله فيقول: "لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلَّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى حَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ"، وأكثر الناس إذا أسيء إليه أدنى إساءة يظل متذكراً لتلك الإساءة، ولا يمحوها من ذكرته الاعتذار، ولا الإحسان بعدها، ولا طول العهد بها.

وتأمل قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم: "هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتُ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ". ولا يلزم أن يكون يقصد نفسه، أو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه حال أغلب الناس إلا من رحم الله.

«وَحْقٌ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحُقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا».

وإذا كان الميزان لا يوضع فيه إلا الحق سيكون ثقيلاً راجحاً لا محالة، ومن ذلك قول المسلم: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَاتُنَ حَفِيفَاتٍ عَلَى الْلِسَانِ، ثَقِيلَاتٍ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَاتٍ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».^٢

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَنْلَعُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٦٩٧، والنمسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، حديث رقم: ١٠٦٣٣، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم - كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤

٣ - رواه الترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم: ٢١٢١، بسنده صحيح

وفي رواية: «مَنْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظًّا مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظًّا مِنَ الْخَيْرِ، أَتَقْلُ شَيْءًا فِي مِيرَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ». ^١

ومن العبادات التي لها ثقل عظيم جداً على النفوس الجهاد في سبيل الله؛ فإن الشيطان يأتي المؤمن ويختوفه الموت إذا حضر القتال، وبصور له حال أهله من بعده، قائلا له ستتزوج امرأتك بعد موتك، ويتشرد أولادك، وتفقد مالك، فيضيق صدره بالجهاد، وتكرهه نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُثُرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكُرُّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. ^٢

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقُلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. ^٣

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوًا أَيْدِيْكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَحْشِيَّةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشِيَّةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَحَرَّتْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. ^٤

«وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحٍ مَا عَمِلُوا، وَتَجاوزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا هُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾. ^٥

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب الرفق، حديث رقم: ٤٦٤

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢١٦

٣ - سورة التوبة: الآية / ٣٨

٤ - سورة النساء: الآية / ٧٧

٥ - سورة الكهف: الآية / ١٠٧

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوِزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ .^١

«إِنَّمَا حَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّباعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلَ، وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ».

قول الصديق رضي الله عنه: «إِنَّمَا حَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....»؛ لذلك صور شتى منها: أنهم اتخذوا دينهم لعيًا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا، هذا حال بعض الناس الدين بالنسبة له طوق في عنقه يخنقه، لا يتجمل به ولا يواري له عورة، لا يذكره إلا في معرض السخرية والاستهزاء، والطعن في أحکامه، والدم لمعتنقيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَوَلِئِنْ لِكُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ﴾ (٧) يسمع آيات الله تُتلَى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (٨) وإذا علِمَ مِنْ آياتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُرُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الجاثية: ٩ - ٧] ، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ فُلُّ أَبِالَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ﴾ [التوبه: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِيَا وَلَهُوَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءَ وَتَصْدِيَّهُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ إِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥] ، وقد حذر الله تعالى المؤمنين من مجالسة من هذا شأنه، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحْوِضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَحْوِضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنِسِّيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] ، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَحْوِضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنْتُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٤٠] ، بل أمر الله تعالى المؤمنين بتترك موالاة من هذا شأنه، وإعلان البراءة منهم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُواً وَلَعِيَا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُرُواً وَلَعِيَا ذَلِكَ بِأَهْمُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ . [المائدة: الآية ٥٨] ، ومن كان دائبه السخرية والاستهزاء بين الله تعالى فهو كافر بالله تعالى، وإن صلى

وصام وزعم أنه مسلم، فكيف إذا كان يصرح بدعائه للدين، وبغضه لأحكامه، وطعنه في شرائعه وحدوده، وسعيه لتقويض دعائمه، وهدم بنianه؟

قال الله تعالى عمن هذا حاله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، وما يحزن أن هذا حال كثير من الناس، والذي تولى كبره منهم صنف من الناس دأبوا على الطعن والسخرية والاستهزاء من الدين وأحكامه ورموزه، والتتدر على كل ما يمت له بصلة، بدعوى الفن، وإدخال السرور على الناس، حتى استهان كثير من الناس بدین الله تعالى، وأحكامه وشرائعه ورموزه.

ومن هؤلاء الذين هذا حالمهم أهل البدع؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أُمَّرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». ^١

فالمبتدع لا يقبل له عمل، بل يرد عليه لمخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، روى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن الأشعث في قوله: ﴿لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧] قال: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، وَالخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنْنَةِ. ^٢

وروي مثله عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه. ^٣

وقال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. ^٤

١ - رواه البخاري - كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حدیث رقم: ٢٦٩٧، ومسلم - كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حدیث رقم: ١٧١٨

٢ - رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية - حدیث رقم: ٢٢

٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩٥/٨)

٤ - سورة الزمر: الآية / ٤٧

قال أبو حفص النسفي: قيل: أبطل الله عليهم أعمالاً كانوا عملوها في الدنيا يحسبون أنها تنفعهم، وأنها حسنات، فبذا لهم أنها سيئات.^١

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

عن مجاهد قوله: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل قال: قدمنا إلى ما عملوا من حير لا يتقبل منهم.^٢

وقال الفخر الرازي: قوله: ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ يعني الأعمال التي اعتقادوها بريًّا وظنوا أنها تقربهم إلى الله تعالى، والمعنى إلى ما عملوا من أي عمل كان. أما قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، فالمراد أبطلناه وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع به كالمباء المنشور الذي لا يمكن القبض عليه.^٣

ومن هؤلاء الذين خفت موازينهم يوم القيمة: قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوا؛ فعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أَنَّه قَالَ: «لَا عَلَمْنَ أَفْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تِحَامَةَ بِيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهُمْ لَنَا أَنَّ لَا نَكُونُ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْرَانُكُمْ، وَمِنْ جَلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ الْلَّيلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلُوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انتَهَكُوهَا».

الواجب على المسلم مراقبة الله في السر والعلن، ويوقن أن الله تعالى مطلع عليه، لا تخفي عليه خافية؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ إِمَّا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

١ - التيسير في التفسير (١٣ / ٥٠)

٢ - سورة الفرقان: الآية/ ٢٣

٣ - رواه ابن أبي حاتم: ١٥٠٦٧

٤ - مفاتيح الغيب (٤٥١ / ٢٤)

٥ - رواه ابن ماجه- كتاب الرهد، باب ذكر الذنوب، حديث رقم: ٤٢٤٥ ، بسنده صحيح

[المجادلة: ٧]، وفي حديث جبريل عليه السلام: قَالَ : «إِلَّا حَسَانٌ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». ^١

ومن هؤلاء الذين خفت موازينهم يوم القيمة من تعلقت بهم حقوق العباد ولم يتحلوا منها في الدنيا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيَئُثْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُعْصِيَ مَا عَلَيْهِ أَخْذَ مِنْ حَطَّا يَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». ^٢

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدِّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاءِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاءِ الْقُرْنَاءِ». ^٣

وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ دِيَارُ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ». ^٤

وعَنْ بُرِيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَحُوْنُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظُنُوكُمْ؟». ^٥

١ - رواه البخاري-كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم: ٥٠، عن أبي هريرة، رواه مسلم-كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: ٨، عن عمر رضي الله عنه.

٢ - رواه مسلم-كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١

٣ - رواه مسلم-كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٢

٤ - رواه البخاري-كتاب الرفق، باب القصاص يوم القيمة، حديث رقم: ٦٥٣٤

٥ - رواه مسلم-كتاب الإماراة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن، حديث رقم: ١٨٩٧

وفي رواية قال: «مَا ظَنْكُمْ تَرَوْنَ يَدْعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا؟». ^١

«وَحْقٌ لِمِيزَانٍ أَلَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخِفَّ».

فمن كان دينه اللهو واللعب، فكيف يكون له وزنًا يوم القيمة؟

قال الله تعالى: ﴿وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهُوَ وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾. ^٢

والذين فرقوا دينهم و كانوا شيئاً كيف يكون لدينهم وزنًا يوم القيمة؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْسِئُهُمْ إِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. ^٣

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَالِحُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَّةٌ فَلَدُوقُوا الْعَذَابَ إِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ^٤
 «أَمَّ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةَ بِصَالِحٍ مَا عَمِلُوا».

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾
 (١٠٧) خالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِلَالًا﴾. ^٥

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ﴾. ^٦

١ - رواه النسائي في الصغرى- كتاب الجهاد، من خان غازياً في أهله، حديث رقم: ٣٩١، والكبرى- كتاب الجهاد، من خان غازياً في أهله، حديث رقم: ٤٣٨٥ ، بسنده صحيح

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ٧٠

٣ - سورة الأنعام: الآية/ ١٥٩

٤ - سورة الأنفال: الآية/ ٣٥

٥ - سورة الكهف: الآية/ ١٠٨ ، ١٠٧

٦ - سورة البقرة: الآية/ ٨٢

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَأْرُ الْآخِرَةِ حَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَأْرُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُوهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَكْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَنَوَّفَّ أَهْمَمُ الْمَلَائِكَةِ طَبِيعَتِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَكْهَارُ يَخْلُوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيابًا حُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرِقٍ مُتَّكِّيْنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقَا﴾.

وقال تعالى: ﴿شُئْمَ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْحُكْمَرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُوهَا يَخْلُوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَاسِهِمْ فِيهَا حَرِيزٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُعُوبٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبِسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرِقٍ مُتَنَقَّابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَرَوْجَنَاهُمْ بِحُورِ عَيْنٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينَ (٥٥) لَا يَدُوْفُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ إِمَّا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِيئًا إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِّيْنَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوْجَنَاهُمْ بِحُورِ عَيْنٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُتْهُمْ دُرِسَتْهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا إِهْمَمْ دُرِسَتْهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ إِمَّا

١ - سورة النحل: الآية / ٣٠ - ٣٢

٢ - سورة الكهف: الآية / ٣٠، ٣١

٣ - سورة فاطر: الآية / ٣٢ - ٣٥

٤ - سورة الدخان: الآية / ٥١ - ٥٧

كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَّعُونَ فِيهَا كَأسًا لَا لَعْوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَهْمَمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ^١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفَوْنَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ هُمْ عُفْيَ الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِمَّا صَبَرْتُمْ فَنَعَمْ عُفْيَ الدَّارِ^٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأسًا دِهَافًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِنَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا^٣.

«وَتَجَاوزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوِرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلًا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلٍ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ^٤.

«فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هَؤُلَاءِ».

أي: بلغ هؤلاء مرادهم، وحققوا مطلوبهم، وفازوا فوزًا لا شقاء بعده أبدًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

١ - سورة الطور: الآية / ١٧ - ٢٤

٢ - سورة الرعد: الآية / ١٩ - ٢٤

٣ - سورة النبأ: الآية / ٣١ - ٣٦

٤ - سورة الطور: الآية / ٢٥ - ٢٨

(٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرُفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنِي عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهُلُاءِ الدِّينِ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ اذْهَلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۚ ١.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحْزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ٢.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمِراً حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (٥٢) يَلْبِسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرِقٍ مُنَقَّابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَرَوَّجَنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينِينَ (٥٥) لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٤.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربينا وسعدائك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من حلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» ٥.

١ - سورة الأعراف: الآية / ٤٦ - ٤٨

٢ - سورة آل عمران: الآية / ١٨٥

٣ - سورة الزمر: الآية / ٧٣ ، ٧٤

٤ - سورة الدخان: الآية / ٥١ - ٥٧

٥ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حدث رقم: ٧٥١٨، ومسلم - كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، حدث رقم: ٢٨٢٩

«وَذَكِرْ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئِ مَا عَمِلُوا وَرَدَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ مَا عَمِلُوا».

قال الله تعالى: ﴿هَذَا هُنَّ حَصْمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩) يُصَهِّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامٌ مِّنْ حَدِيدٍ (٢١)

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَدُوْقُوا عَذَابَ الْحَرَقِ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجُجَ الْجَمَلُ فِي سَمَّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُخْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ وَكَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ٢.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمِرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّنَتُهَا أَمْ يَا إِنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رَّبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَفْتُ گَلِمَةً العَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمْ خَالِدِينَ فِيهَا فَيُئْسَ مَثَوِي الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾٣٠﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُوْنَ﴾ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُوْنَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِيْنَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رِبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُرُوْنَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغْلُبٍ
الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُفْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ .^٦

١ - سورة الحج: الآية / ٢٢ - ١٩

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٤٠، ٤١

٣ - سورة الزمر: الآية / ٧٢، ٧١

٤ - سورة الزخرف: الآية / ٧٤ - ٧٧

٥ - سورة الدخان: الآية / ٤٣ -

٦ - سورة محمد: الآية / ١٥

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقِي مِنْ عَيْنٍ آنِيَةً (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.^١

﴿فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هُؤُلَاءِ﴾.

قول القائل: «أَنَا خَيْرٌ مِنْ هُؤُلَاءِ»، يحتمل أمرين:

الأول: معرفة نعمة الله تعالى عليه بالهدایة والتحدث بها، وسؤاله ربه تعالى ألا يدخله مدخلهم، وألا يجعله منهم؛ كما قال الله تعالى عن المؤمنين الذين عاينوا مصارع الغابرين، قال تعالى عن قوم قارون حين خسف به وبداره الأرض: ﴿فَحَسَّنَاهُ بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَةً بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨١، ٨٢]، وكما أخبر تعالى عن أصحاب الأعراف حين صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، فقال: ﴿وَإِذَا صُرِّفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا زَيَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وكما أخبر الله تعالى عن أصحاب الجنة حين اطلعوا على أصحاب النار، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠) قالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِنْنَا وَكَنَا ثُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَلَّعُونَ (٤) فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٤) قالَ تَالَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمُسِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلِيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.^٢

١ - سورة الغاشية: الآية / ٢ - ٧

٢ - سورة الصافات: الآية / ٥٠ - ٦١

والثاني: أن يقول هذا القول إعجاباً منه بعمله، كما هو حال بعض الناس؛ فعن مسروق قال: قال رجلٌ عنده عبد الله: ما أحب أن تكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلى، فقال: لكن هاهنا رجلٌ ودانه إذا مات لم يبعث يعني نفسه.^١

وهذا من اعتبار العبد بنفسه، وثقته بعمله، ولم يكن هذا حال السلف رضوان الله عليه، بل شأنهم سوء الظن بأنفسهم مع حسن ظنهم بالله تعالى؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجذب؟»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبِي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».^٢

وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمون، إن السماء ألطى، وحق لها أن تحيط، ما فيها موضع أربع أصافيف إلا وملوك واضيع جبهتهم ساجدة لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيركم كثيراً، وما تلذتم باليساء على الفرشات، ولخرختكم إلى الصعدات، تجاؤون إلى الله». فقال أبو ذرٍ: والله لو ددتني كنت شجرة ثعضد.^٣

وعن داود بن أبي عمارة؛ أن علياً رضي الله عنه قال: حمسٌ خدوهن عي: لا يخاف أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربي، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. إن الصبر من الإيمان منزلة الرأس من الجسد؛ إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان، وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد.^٤

١ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٨٦٩، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٢)

٢ - رواه الترمذى - أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٩٨٣، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم: ٤٢٦١، والنمسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول المريض إذا قيل له: كيف تجذب؟ حديث رقم: ١٠٨٣٤، والمزار - حديث رقم: ٦٨٧٤، بسنده حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٥١٦، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، حديث رقم: ٤١٩٠، بسنده حسن

٤ - رواه سعيد بن منصور في التفسير - حديث رقم: ١٢٤٦، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الزهد، حديث رقم: ٣٤٥٠٤

وعنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لَوْ وَقَفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَقِيلَ لِي: احْتَرْ تُحِيزُكَ مِنْ أَيِّهِمَا تَكُونُ أَحَبُّ إِلَيَّكَ أَوْ تَكُونُ رَمَادًا، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا». ^١

وعن الحارث بن سويد، قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو تعلمون علمي لثوتم التراب على رأسِي. ^٢

وعن حِزَامِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا رَأَيْتُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ مَا أَكْتُمْ طَعَامًا بِشَهْوَةٍ وَلَا شَرِبْتُمْ شَرَابًا عَلَى شَهْوَةٍ وَلَا دَحْلَتُمْ بَيْنَ تَسْتَظِلُونَ فِيهِ وَلَحَرِصْتُمْ عَلَى الصَّعِيدِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ وَتَبْكُونَ عَلَى أَنفُسِكُمْ وَلَوْدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ، قَالَ بُرْدٌ: وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ بِهِ طَائِرٌ فَقَالَ: طُوبَاكَ يَا طَائِرُ تَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَتَسْتَظِلُ بِالشَّجَرِ وَتَرْجِعُ إِلَى عَيْرِ حِسَابٍ". ^٣

وعن الضَّحَّاكِ قَالَ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِطَيْرٍ وَاقِعٍ عَلَى شَجَرَةٍ ، فَقَالَ: «طُوبَى لَكَ يَا طَيْرُ؛ تَقْعُ عَلَى الشَّجَرِ وَتَأْكُلُ الشَّمَرَ، ثُمَّ تَطِيرُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَا عَذَابٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ؛ وَاللَّهُ لَوْدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي شَجَرَةً إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، فَمَرَّ بِي بَعِيرٌ فَأَخَذَنِي فَأَدْخَلَنِي فَاهْ فَلَاكَنِي، ثُمَّ أَرْدَرَنِي، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَعْرًا وَلَمْ أَكُ بَشَرًا» قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ كَبْشَ أَهْلِي، سَمَّنُونِي مَا بَدَا لَهُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ أَسْمَنَ مَا أَكُونُ زَارُهُمْ بَعْضُ مَا يُجْبِيُونَ فَجَعَلُوا بَعْضِي شَوَاءً وَبَعْضِي قَدِيدًا ثُمَّ أَكْلُوْنِي، فَأَخْرَجُوْنِي عَذِيرَةً وَلَمْ أَكُ بَشَرًا» قَالَ: وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ وَلَمْ أَكُ بَشَرًا». ^٤

وعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي يَوْمَ خَلَقَنِي شَجَرَةً تُعْضَدُ وَيُؤْكَلُ ثُمَّ هَاهَا». ^٥

١ - روا الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٥٣٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٣٣)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/١٣٣)

٣ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٧٤٠

٤ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٤٩

٥ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٠

وعنْ كَعْبٍ قَالَ: «لَوْدَدْتُ أَيْ كَبْشُ أَهْلِي، فَأَحَدُونِي، وَسَمَّونِي، وَذَجَّوْنِي، فَأَكَلُونِي، وَأَطْعَمُوا ضَيْقَهُمْ».^١

وعنْ حُمَيْدِ بْنِ هَلَالٍ قَالَ: كَانَ هَرِمْ بْنُ حَيَّانَ يَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فَأَتَتْ إِخْدَى رَاحِلَتِهِمَا عَلَى صِلِّيَانَةٍ^٢ فَانْتَفَضَتْهَا، فَقَالَ هَرِمْ: «أَيْسُرُكُ أَيْهَا الْأَمِيرُ، أَنَّكَ كُنْتَ هَذِهِ الصِّلِّيَانَةَ فَانْتَفَضَّهَا بَعْرِيَّكَ فَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ الْمَمَاتِ أَفْضَلَ مَا أَصْبَثْتُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ هَرِمْ لَكِيَّ: «وَاللَّهِ لَوْدَدْتُ أَيْ هَذِهِ الصِّلِّيَانَةَ أَكَلْتُنِي هَذِهِ الدَّابَّةَ فَدَهْبَتْ، فَلَمْ أَكُ شَيْئًا».^٣

وعنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَيْتَنِي إِذْ مِتُّ كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا».^٤

«وَذَكَرَ آيَةُ الرَّحْمَةِ وَآيَةُ الْعَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا».

قال الله تعالى: ﴿نَّيْنِي عِبَادِي أَيْنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ^٥. [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤ - ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمْمَهُ هَاوِيَةٌ﴾^٦.

الواجب على المؤمن أن يكون لربه تعالى راغبًا راهبًا، خائفاً راجياً، فإذا غلب عليه أحدهما هلك، بل الواجب أن يكون الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطائر؛ قال مكحول الدمشقي: مَنْ عَبْدُ اللَّهِ بِالْحُبُّ وَحْدَهُ: فَهُوَ زَنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبْدُهُ بِالْخُوفِ وَحْدَهُ: فَهُوَ حَرْوَرٌ، وَمَنْ عَبْدُهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ: فَهُوَ مَرْجِيٌّ، وَمَنْ عَبْدُهُ بِالْحُبُّ وَالْخُوفِ وَالرَّجَاءِ: فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوْحَدٌ.

١ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٠

٢ - الصِّلِّيَانَةُ بقلة، والعرب تقول: الصِّلِّيَانَ: خبز الإبل. ويقال للرجل إذا أسرعَ الحليفَ ولم يتتعنَّ: جَذَّها جَذَّ العَبْرِ الصِّلِّيَانَةَ.

٣ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٢

٤ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٣

٥ - سورة القارعة: الآية/ ٦ - ٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».^١

وقد أمر الله تعالى عباده أن يدعوه خوفاً من سخطه وعذابه وطمعاً في رضوانه وجنته، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا حَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) تَجَافِي جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^٢.

وأنى الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم السلام والصالحين من عباده أنهم كانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً، وكانوا له خاشعين؛ فقال تعالى عن زكريا عليه السلام وآلها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.^٣

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذِي. فَقَالَ: «حَوْهُمْ مَا نُدْنِدُنْ».^٤

وعنه رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةً، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ

١ - رواه مسلم - كتاب التوبية، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنما سبقت غضبه، حديث رقم: ٢٧٥٥

٢ - سورة السجدة: الآية/ ١٥ ، ١٦

٣ - سورة الأنبياء: الآية/ ٩٠

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الدعاء، باب الجواب من الدعاء، حديث رقم: ٣٨٤٧، ابن خزيمة - كتاب الصلاة «المختصر من المختصر من المسند الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطَنَا فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ»، باب مسألة الله الجنة بعد التشهد وقبل التسليم والاستعاذه بالله من النار، حديث رقم: ٧٢٥، والبزار - حديث رقم: ٩١٨٦، والبيهقي في السنن الصغرى - كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، حديث رقم: ٤٤٦، بسنده صحيح

الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَئِسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمُنْ مِنَ النَّارِ».^١

وقال لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنْيَيَ ارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَا يُجْرِئَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَخَفِ اللَّهَ حَوْفًا لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ».^٢

وعن عمرو بن قيس: أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: "انظروا أصبخنا؟" قال: فقيل: لم نصبح. حتى أتي فقيل له: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مرhabا بالموت. مرhabا، زائر مغرب حبيب جاء على فاقه. اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. إني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهر، ولا لغرس الشجر، ولكن لظماء المهاجر، ومكافحة الساعات، ومزاجمة العلماء بالركب عند حلق الذكر".^٣

وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تستهني؟ قال: "أشتهي الجنة. قالوا: فما تستنككي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلأ ندعوك الطيب؟ قال: الطيب أمراضي. لقد عشت فيكم على خلال ثلات: للفقر فيكم أحب إلى من الغنى، وللضعة فيكم أحب إلى من الشرف، وإن من حمدني منكم ولا مني في الحق سواء. ثم قال: أصبخنا؟ أصبخنا؟ قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقه. لا أفلح من ندم".^٤

وقال يحيى بن معاذ الرازى: الإيمان ثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة، وفي جوف الخوف ترك الذنوب، وفيه التّجاه من النار، وفي جوف الرجاء الطاعة، وفيه وجوب الجنة؛ وفي جوف المحبة احتمال المكرهات، وبه تجد رضا الله عز وجل.°

١ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث رقم: ٦٤٦٩

٢ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٦

٣ - كتاب المختصرتين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٢٧

٤ - كتاب المختصرتين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٢٩

٥ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ١٠٣٣

وكان يحيى بن معاذ يقول: كيف أخافك وأنت كريم؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز؟ فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني، فلا رجائي يدعني فأموت خوفاً ولا خوفي يتركني فأحيي فرحاً.^١

وقال محمد بن مطرف: "دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم كيف تجده؟ قال: "أجدني بخير". قال: أجدني راجياً لله، حسن الظن به. ثم قال: إنه والله ما يستوي من غداً وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غداً وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب".^٢

«وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ».

لا شك أن من أسباب الغفلة ومن الاغترار بالله تعالى: التفريط في الطاعات، والإسراف على النفس في المحرمات، مع تبني النجاة يوم القيمة، والدرجات العلى من الجنة، وما مثل من هذا حاله إلا كمثل اليهود والنصارى الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم يحاربون دينه ويکذبون رسالته؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَنْ هُنَّ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَبْحَاثُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وكمثل اليهود الذين قالوا: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، وهم عبدوا غيره وقتلوا أنبياءه ورسله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقد ردَ الله تعالى عليهم وعلى كل غرهم بالله الغرور فقال: ﴿بَلِّي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ حَطَّيَّتْ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، وحذر سبحانه وتعالى المؤمنين من هذه الأمة أن يسلكوا سبل الأمان الكاذبة كما فعل أهل الكتب قبلهم فقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانٍ كُمْ وَلَا أَمَانٍ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا^٣.

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ١٠٣٤

٢ - كتاب المحتضرين - حديث رقم: ١٥٢

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٢٣ ، ١٢٤

وقال الحسن: «إِنَّ قَوْمًا أَهْتَهُمْ أَمَانِيُّ الْمَعْفَرَةِ حَتَّىٰ حَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لَهُمْ حَسَنَةٌ، يَقُولُ: إِنِّي لَحَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّي، وَكَذَبَ لَوْ أَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ لَأَحْسَنَ الْعَمَلَ». ^١

وقال رَجُلٌ لِمُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَرَجُلٌ آخَرَ مِنْ قُرْيَشٍ: «الْجِدُّ الْجِدُّ، وَالْحَدَرُ الْحَدَرُ، فَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا تَرْجُونَ كَانَ مَا قَدَّمْتُمْ فَضْلًا، وَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ عَلَىٰ عِيْرِ ذَلِكَ لَمْ تَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ». ^٢

وعن مُطَرِّفٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «يَا إِخْوَتَا إِجْتَهَدُوا فِي الْعَمَلِ، فَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَمَا تَرْجُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ كَانَتْ لَنَا دَرَجَاتٌ، وَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ شَدِيدًا كَمَا نَخَافُ وَنَخَادِرُ مَمْنُونًا: ﴿رَبَّنَا أَحْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، تَأْكُلُ: قَدْ عَمِلْنَا، فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُنَا ذَلِكَ». ^٣

وقال محمد بن أبي العتاهية: قال الرشيد رضوان الله عليه وعلى آبائه، لأبي: عظني، قال: أخافك.
قال: أنت آمن. فأنشده أبي:

لا تَأْمِنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ * * * * *
إِذَا تَسْتَرَتْ بِالْحَجَابِ وَالْحَرَسِ * * * * *
وَاعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ * * * * *
لِكُلِّ مُدَرِّعٍ مِنْهَا وَمُتَرِّسٍ * * * * *
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ * * * * *
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَا تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا * * * * *

قال: فبكى الرشيد رضوان الله عليه، حتى بل كمه. ^٤

١ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٢

٢ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٥

٣ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٤

٤ - تاريخ دنيسر (ص: ١٩٤)

«وَلَا يُلْقِي بِيَدِيهِ إِلَى التَّهْلِكَةِ».

وإن من أعظم موارد الهالك التفريط في الطاعات، والولوغ فيما حرم الله تعالى؛ قال الله تعالى:

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا ثُلُفُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾. ١

عن حذيفة رضي الله عنه: «﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا ثُلُفُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾، قَالَ: نَزَّلْتُ فِي النَّفَقَةِ».^٢

وعن ابن عباس. ﴿وَلَا ثُلُفُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾. قال: ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقه في سبيل الله.

وعن عكرمة في قوله: ﴿وَلَا ثُلُفُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾. قال: لما أمر الله بالنفقة فكانوا أو بعضهم يقولون: ننفق فيذهب مالنا ولا يبقى لنا شيء؟ قال: أنفقوا ولا ثلقووا بأيديكم إلى التهلكة. قال: أنفقوا وأنا أرزقكم.

«إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ».

يعني إن حفظت بوصيتي، وامتنعت أمري، فلن يكون شيء أحب إليك من لقاء الله تعالى؛ لما ترجوه من حسن المثوبة، فتكون كالغائب يقدم على أهله، وكاظمان الذي يرد على الماء؛ عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». ^٣

ومحبة لقاء الله تعالى، والنظر إلى وجهه الكريم في جنة الخلد منتهى آمال الصالحين، والشوق إلى لقاء الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه حال الصالحين؛ فهذا عمار بن ياسر رضي الله عنه يلقى الموت متبعسماً من شرح الصدر يعني نفسه بقاء الأحبة؛ فعنه ربيعة بن ناجد، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفَّينَ،

١ - سورة البقرة: الآية / ١٩٥

٢ - رواه البخاري - كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا ثُلُفُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسَنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، حدیث رقم: ٤٥١٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حدیث رقم: ٦٥٠٨، ومسلم - كتاب الذكر، والدعاء، والتوبه، والاستغفار، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، حدیث رقم: ٢٦٨٦

قَالَ عَمَّارٌ: «الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، لَقَدْ قَاتَلْتُهُنَّاهُ الرَّاِيَةَ ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الرَّاِيَةُ».^١

وعن سلمة بن كهيل قال: قال عمار بن ياسر يوم صفين: الجنَّةُ تحتَ الْبَارِقةَ، الظَّمَانُ قد يَرُدُّ الماءَ الماءَ مَوْرُودٌ، الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبْنَا حَتَّى يُلْغِونَا سَعْفَاتَ هَجَرَ لَعِمْتُ أَنَا عَلَى حَقٍّ وَأَنْهَمْ عَلَى باطِلٍ، وَاللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتُهُنَّاهُ الرَّاِيَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا هَذِهِ الْمَرَّةُ بِأَبْرَهْنَ وَلَا أَتَقَاهُنَّ.^٢

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أحب الفقر تواضعًا لربِّي عز وجل، وأحب الموت اشتياقاً إلى ربِّي عز وجل، وأحب المرض تكفيراً لخطايِّ.^٣

عن الحارث بن عميرة الزبيدي قال: إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت، وهو يغمى عليه مرة ويفيق مرة، فسمعته يقول عند إفاقته: «اخنق خنقك، فوعزتك إني لأحبك».^٤

وقال ليث بن أبي سليم: لما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزاً شديداً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «ما أبكي أسفًا على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدرِي على ما أقدم، على الرضا أم على سخط؟».^٥

وعن الحسن قال: قال حذيفة في مرضه: «حبيب جاء على فاقة. لا أفلح من ندم. السر بعدي ما أعلم. الحمد لله الذي سبق بي الفتنة، قادها وعلوچها».^٦

١ - رواه البزار - حديث رقم: ١٤١٠

٢ - الطبقات الكبرى (٢٣٨ / ٣)

٣ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٨١١، وأبو داود في الزهد - حديث رقم: ٢٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض، حديث رقم: ١٠٠٨٢

٤ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٢٨

٥ - المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٦٧

٦ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٣٠

عن سرية الريع قالت: لما احضر الربيع بكت ابنته فقال: "يا بنية لا تبكي، ولكن قولي: يا بشرى،
اليوم لقي أبى الخير".^١

«وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ».

أبى: ولا بد لك من الموت، فإن الله تعالى كتب الفناء على الخلق، وجعل لكل نفس أجلاً، وجعل
لكل أجل كتاب؛ قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال
تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٦) وَيَقِنِي وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال
تعالى: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال
تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَسْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنباء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ
الْحَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.^٣

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ صَلَاةِ
الْعِشَاءِ، وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ الْعَتَمَةَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ
سَنَةٍ مِنْهَا، لَا يَبْقَى مِنْهُ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».^٤

«وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَايَبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ».

يعني وإن أنت فرطت في وصيتي وخالفت أمري، فلن يكون شيءٌ أبغض إليك من لقاء الله تعالى،
لما اقترفته من التقصير في حقه، والجراءة على حرماته، ولن تعجزه فعنك في قبضته وتحت سلطانه،
وقدوم العاصي على ربه تبارك وتعالى كقدوم العبد الآبق على سيده، فما ظنك من يقدم على ربه وقد

١ - كتاب المختضر لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٤٥

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٣٤

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٥٥

٤ - رواه البخاري - كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رأه واسعاً، حديث رقم: ٥٦٤

بارزه طول عمره بالحرب، واستحل محارمه، واستنكف عن عبادته، وآثار شهوات نفسه على محابيه، فإذا حضره الموت وبشر بعذاب الله تعالى، أيقن بالهلاك، وآيس من النجاة فضاق صدره، وجزعت نفسه، وكره لقاء الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكَرَاهِيَ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرُهُ الْمَوْتَ فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». ^١

١ - رواه البخاري - حديث رقم: ٦٥٠٧، ومسلم - حديث رقم: ٢٦٨٤

المحتويات

٢	المقدمة
٦	ترجمة زُبُيدِ الْيَامِي
٨	ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٦	ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنْه
٢٢	«إِنِّي مُوصِيلٌ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتُهَا».
٢٢	حدُّ الوصيَّة:
٢٧	مِنْ وَصَائِيَا الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:
٢٧	وصيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْثُوبُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِأَبْنَائِهِمْ:
٢٨	وصيَّةُ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ:
٢٨	وصيَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ:
٢٩	مِنْ وَصَائِيَا السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
٢٩	وصيَّةُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِيتِ رضي الله عنه لابنه:
٢٩	وصيَّةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِيَزِيدَ بْنِ الْأَصْمِ:
٣٠	وصيَّةُ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ لِرَجُلٍ جَاءَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ:
٣٠	وصيَّةُ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحِ التَّمِيمِيِّ لِبَنِيهِ:
٣٠	نصيحة مسعر بن كِدادِ لولِدهِ:
٣١	النصيحة حق المسلم على المسلم:
٣٢	منزلة عمر رضي الله عنه عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

٣٢	قيمة الوصية إذا أتت من إنسان له دين وافر وعقل راجح :
٣٥	قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه:
٤٤	«وَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ».
٥٩	«وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحٍ مَا عَمِلُوا، وَبَخَافَرَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».
٦٠	«وَإِنَّمَا حَقَّتْ مَوَازِينُ مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلِ، وَحَقَّتْهُ عَلَيْهِمْ، وَحُقِّ لِمِيزَانٍ أَلَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخْفَ».
٦٤	«أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحٍ مَا عَمِلُوا».
٦٦	«وَبَخَافَرَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».
٦٦	«فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هُؤُلَاءِ».
٦٨	«وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئِ مَا عَمِلُوا وَرَدَ عَلَيْهِمْ صَالِحٍ مَا عَمِلُوا».
٦٩	«فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا حَيْرٌ مِنْ هُؤُلَاءِ».
٧٢	«وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ العَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا».
٧٥	«وَلَا يَتَمَّنِي عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ».
٧٧	«وَلَا يُلْقِي بِيَدِيهِ إِلَى التَّهْلِكَةِ».
٧٧	«فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ».
٧٩	«وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ».
٧٩	«وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْعَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ».
٨١	المحتويات.....

